من بلاغة النصح بمكارم الأخلاق
في أرجوزة ذات الأمثال لأبي العتاهية

إعداد الدكتورة

أمل سيد عبد السميع أبو حميدة

مدرس بقسم البلاغة والنقد

كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات

جامعة الأزهر - القاهرة

من بلاغة النصح بمكارم الأخلاق في أرجوزة ذات الأمثال لأبي العتاهية

أمل سيد عبد السميع أبو حميدة

قسم البلاغة والنقد، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات، جامعة الأزهر، القاهرة، مصر.

البريد الإلكتروني: AmalAbohemedastu204@azhar.edu.eg

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى بيان أثر بلاغة الأساليب في أرجوزة (ذات الأمثال لأبي العتاهية) على تشكيل القيم الخُلقية؛ فالأرجوزة تضمنت كنوزًا نفيسة من الأمثال، أودع فيها أبو العتاهية كل المعاني الشعرية المؤثرة في النفس الإنسانية، والتي تردُّ العصاة والغواة عن طريق الغيِّ والضلال إلى طريق الهداية، أضف إلى ذلك أنها قصيدة تعليمية ترسم دستورًا للعلاقات بين الناس، وبينهم وبين خالقهم، وتبيِّنُ طُرق الخير الموصِّلة إلى الجنة، إلى جانب الكثير من المعاملات المستمدة من المعاني .لقد أودع أبو العتاهية أرجوزته (ذات الأمثال) معانيًا وأهدافًا نبيلة، صدرت عن إنسان مجرَّب واعٍ لما يدور في العصر العباسي من خيرٍ وشرٍ، خالط أراذل الناس وعلية القوم، فمثل هذه الأبيات مشعل من مشاعل الشعر العربي، التي يمكن الاستدلال بها في ظلمات العيش. وقد اعتمد البحث على المنهج التحليليّ التذوقيّ، وذلك بتحليل المفردات والتراكيب تحليلًا بلاغيًا، للوقوف على ما للأساليب البلاغية من أثر في بناء الأخلاق. ومن أهم النتائج التي توصل إليها البحث:أن للأساليب البلاغية في أرجوزة ذات الأمثال دورًا في تهذيب النفوس، والحث على مكارم الأخلاق على امتداد العصور؛ فالشاعر يدعو الناس في أرجوزته إلى الصبر والصدق والقناعة والتسامح والكرم والإيمان بقضاء الله وقدره، وغيرها من مكارم الأخلاق، وفي المقابل نجده يحذر من كثير من الأمراض

الاجتماعية كالكذب والبخل والطمع والظلم والتهافت على الدنيا، وغيرها من الآفات التي تقطع العلاقات بين الناس وتزرع الحقد.

الكلمات المفتاحية: بلاغة- مكارم الأخلاق- أرجوزة - ذات الأمثال- أبو العتاهية.

On the Eloquence of Advice on Noble Morals in "Dhat ul-Amthal" by Abu al-Atahiya

Amal Sayed Samea Abu Humaida,

Department of Rhetoric and Criticism, Faculty of Islamic and Arabic Studies for Female Students, Al-Azhar University, Cairo, Egypt

E-mail: AmalAbohemedastu204@azhar.edu.eg

Abstract:

This study aims to demonstrate the impact of eloquent techniques in Abu al-Atahiya Arjuza Dhat ul-Amthal on shaping ethical values. The poem includes valuable proverbs, where Abu al-Atahiya infused all the poetic meanings that influence the human soul, steering sinners and the misguided from the path of misguidance to the path of guidance. Additionally, it is a didactic poem that lays out a code for relationships between people, and between them and their Creator, illustrating ways of goodness that lead to Paradise. Abu al-Atahiya was an experienced man who interacted with both the lower classes and the elite during the Abbasid era, making his poetry a beacon of Arabic verse. The study employs an analytical and appreciative approach by analyzing vocabulary and structures with rhetorical analysis to uncover the influence of rhetorical techniques on moral development. One of the study's main findings is that the rhetorical techniques in Dhat ul-Amthal play a role in refining souls and encouraging noble morals across generations. In his poem, the poet calls people to patience, honesty, contentment, tolerance,

generosity, and faith in God's will, among other virtues. Conversely, he warns against numerous social vices such as lying, stinginess, greed, injustice, and hatred.

Keywords: eloquence – noble morals - Arjouza with proverbs - Abu Al-Atahiya

مقدمة:

أحمَدُكَ اللهمَّ حمدًا يوافي نعمَك ويكافئُ مزيدَ عطاياك، وأصلي وأسلمُ على البشيرِ النذيرِ، إمامِ البلاغةِ، ويَنْبُوعِ البيانِ، وعلى آلِه وصحبِه الأخيارِ، ومَنْ تبعهم بإحسانٍ إلى يومِ الدينِ، وبَعدُ....

فإنَّ الأخلاقَ للفردِ روحٌ لا تموتَ بعدَ الرحيلِ، وللأممِ بناءٌ يزيدُ من شأنِها، رُويَ في الأثر": إنّ لكلّ مُسِيءٍ توبةً، إلا صاحبَ سوءِ الخُلُق؛ فإنّه لا يتوبُ من ذنبٍ إلا وقعَ في شرٍّ منه"(١)، وكما يلعبُ الشعرُ دورًا بارزًا في عملية حفظِ اللغة وإثرائها، فهو أيضًا يدعو إلى التمسكِ بالأخلاق.

قال أبو بكر الصديق –رضي الله عنه–: "علِّموا أولادَكم الشعرَ فإنّهُ يعلّمُهم مكارمَ الأخلاق"، وقال عمر بن الخطاب –رضي الله عنه–: "تحفّظوا الأشعار، وطالعوا الأخبار؛ فإن الشعر يدعو إلى مكارم الأخلاق، ويُعلّم محاسن الأعمال، ويبعث على جليل الفِعال، ويفتُقُ الفطنة، ويشحذ القريحة، وينهى عن الأخلاق الدنيئة"(٢).

ولما كانت الأخلاق من الأهمية بمكان في بناء الأمم والحضارات، وكان الشعر هو اللسان المعبِّر عنها، وله أيضا ما لا يخفي من دور في تهذيب النفوس وصقلها وجَّهْت بحثي نحو مجموعة من الأخلاق الحميدة والقيم النبيلة، التي وردت في شعر الشاعر العباسي (أبي العتاهية)، الذي حمل لواء الزهد والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة في ذلك العصر.

وقد وقع اختياري من بين هذا الشعر على (أرجوزة ذات الأمثال)؛ لما تحمله من كنوزٍ نفيسةٍ من مُثُل أسلافنا في التربية الدينية والخُلُقيَّةِ والنفسيَّةِ والاجتماعيَّةِ، يَجمعُها قالبٌ لغويٌ محكمٌ يَسهُلُ على الناسِ حفظُه.

---

(١) ضعيف الجامع الصغير (وزيادته: الفتح الكبير) لمحمد ناصر الدين الألباني، رقم الحديث: ١٩٣٠، الناشر: المكتب الإسلامي، أشرف على طبعه: زهير الشاويش.

(٢) نضرة الإغريض في نصرة القريض، المظفر بن الفضل العلوي، تح د/ نهى عارف الحسن، ٦٥، دار صادر بيروت.

والأُرجوزةُ تُعدُّ شعرًا وعظيًّا إرشاديًّا؛ اشتملت على أساليبَ بلاغيةٍ متنوعة، كما دعَّمَ أبو العتاهيةِ ما أوردهُ فيها باقتباساتٍ من الكتابِ والسنة، فصارت روضةً غنيَّةً ترتادُها القلوبُ وترتاحُ فيها؛ لما تظفرُ به منها من طيبِ الثمرةِ وحُسْنِ الزهرة.

والأرجوزة ثلاثمائة وعشرون بيتًا، تخيرت منها مجموعة من الأبيات تشمل أهم النصائح التي تدعو إلى مكارم الأخلاق وتحذِّر من الرذائل .

خُطَّةُ البحثِ:

قسَّمتُ البحث إلى مقدمةٍ، وتمهيدٍ، ومبحثين، وخاتمةٍ، وذلك على النَّحوِ الآتي:

التمهيد: وخُصِّصَ للحديثِ عن أبي العتاهيةِ وسببِ كُنيتهِ التي غلبت عليهِ حتى اشتُهر بها دونَ اسمِهِ، كما يتناولُ التمهيدُ معنى الأرجوزة، والفرقَ بينها وبين القصيدة.

المبحث الأول: الحث على القناعة والإسراع بالتوبة دراسة بلاغية. ويشمل:

١- الحث على القناعة والزهد في الدنيا.

٢- الحث على الإسراع بالتوبة.

المبحث الثاني: الحث على الصدق والحلم والكرم ومصاحبة الأخيار وطيب الحديث دراسة بلاغية ويشمل

١- الحث على الصدق.

٢- الدعوة إلى الحلم والتسامح والصبر.

٣- الحث على الكرم ونبذ البخل.

٤- الدعوة إلى مصاحبة الأخيار.

٥- الدعوة إلى طيب الحديث.

الخاتمةُ: وفيها أهمّ النتائجِ التي توصَّل إليها البحثِ.

تمهيد

لمحة قصيرة عن أبي العتاهية

يُعَدُّ أبو العتاهية من أبرز شعراء العصر العباسي؛ فهو من الشعراء الذين شهد لهم التاريخ بجزالة شعرهم، وقدرتهم على الحياكة، هو" أبو إسحاق بن القاسم بن سويد بن كيسان، العنزي بالولاء، العيني، المعروف بأبي العتاهية، الشاعر المشهور. مولده بعين التمر، وهي بُلَيْدة بالحجاز قرب المدينة، وقيل إنها من أعمال سقى الفرات"(١).

سبب كُنيته التي غلبت عليه حتى اشتهر بها دون اسمه:

قيل لُقب بأبي العتاهية لاضطراب فيه، وقيل: كان يحب الخلاعة، فيكون مأخوذا من العتو(٢). ويقول أبو الفرج الأصفهاني: "قال المهدي يومًا لأبي العتاهية: أنت إنسان مُتحذلِق(٣) مُتَعَتِّه، فاستوت له من ذلك كنية غلبت عليه دون اسمه وكنيته، وسارت له في الناس، قال: ويقال للرجل المتحذلق (عتاهية)"(٤).

---

(١) وفيات الأعيان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، تح: إحسان عباس، ٢١/١، دار صادر بيروت.

(٢) سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ١٠ /١٩٦، مؤسسة الرسالة.

(٣) الحَذْلَقةُ: التصرُّف بالظَّرْف. المُتَكَيِّس، وقيل: المُتحذلق هو المتكيس الذي يريد أن يزداد على قدره .وإنه ليَتَحَذْلَق في كلامه ويَتَبَلْتَع أي يتظرَّف ويَتكيَّسُ. لسان العرب للإمام العلامة ابن منظور(ت٧١١هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ط٣، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م. مادة (حذلق)

(٤) كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، تحقيق وإشراف لجنة من الأدباء، ٤/٤، الدار التونسية للنشر، تونس طبعة ١٩٨٣م.

شعر أبي العتاهية:

تحوَّلت حياة أبي العتاهية في ميدانِ الشعرِ من النقيضِ إلى النقيضِ؛ فبعدَ أن كان يُعرفُ بشعرِهِ في الغزلِ واللهو والمجونِ، أصبحَ يُعرفُ بشعرِ الزُّهد والحكمة، فقد درس كثيرًا من مذاهب المتكلمين والشيعة والجبرية والزهاد، وكان يسلك منها عدة أيام ثم ينتقل إلى الآخر، حتى اختار له من كل ذلك عقيدة مختلفة، أفضت به إلى العبادة والزهد في الدنيا قولًا ومعيشة في أخريات حياته، وقيل إنه ترك منادمة الرشيد، وكان قبل ذلك لا يفارقه، وتاب توبة صادقة وزهد في الدنيا. وأبرز زهدياته دارت حول الترهيب من الدنيا والترغيب في الآخرة، بالأعمال الصالحة وتذكُّرِ الحشر، ينشرها في الناس دعوة صادقة للتقرب من الله .

وكانت لغته الشعرية تقوم على السهولة المفرطة في اختيار الألفاظ والعبارات؛ حتى لتقترب من لغة الناس اليومية، بل حتى ليصيبها أحيانًا ضرب من الابتذال، ولهذا قال الأصمعي: " شعر أبي العتاهية كَسَاحَةِ الملوكِ، يقعُ فيها الجوهر والذهب والتراب والخزف والنَّوَى"(١).

ورُوي أن أبا العتاهية " كان حُلْو الإنشاد، مليح الحركات، شديد الطرب، حتى إنه كان يتكلم بالشعر في جميع حالاته، ويُخْاطب به جميع الناس"(٢).

ومما يحسب لأبي العتاهية" توجيهه الشعر هذه الوجهة الصالحة، وذهابه به في الحياة نحو تربية الشعوب وهدايتها، وإنارة السبيل أمامها، وتقويم عوجها"(٣).

---

(١) أمراء الشعر العربي في العصر العباسي، تأليف / أنيس المقدسي، ١٦٥، دار العلم للملايين الطبعة السابعة عشرة، ١٩٨٩م.

(٢) أبو العتاهية حياته وشعره، جعفر خربياتي،٢٥،٢٦، ط دار الفكر اللبناني للطباعة والنشر، بيروت ط١، ١٩٩٢م.

(٣) مجلة الرسالة، أحمد حسن الزيات باشا (ت ١٣٨٨هـ)، العدد١١٥، (شاعرنا العالمي أبو العتاهية)، للأستاذ عبد المتعال الصعيدي، صـ٤٦

وقد يكفى أبا العتاهية أيضاً أنه هو الشاعر الشعبي الذي أمكنه أن يدنو بالشعر العربي إلى إفهام العامة، فوردوا مناهله العذبة بعد أن حُرموا منها زمناً طويلاً بنزول لغتهم عن لغته، وانصراف الشعراء عنهم كأنهم عجماوات لا حظ لها من علم وأدب، وهذا كله مع احتفاظه للشعر بما يتطلبه منه الخاصة أيضاً، فأرضى بشعره الفريقين، ولم ينزل به عن مرتبة فحول الشعر في عصره وقبل عصره، ... وقد بلغ من سهولة الشعر عليه أنه كان يقول: لو شئت أن أجعل كلامي كله شعرًا لفعلت، ... ويعد أبو العتاهية زعيم شعراء عصره، فهذا ابن مناذر يقضي له بهذا السبق، وهذا بشار قد سُئل من أشعر أهل زمانه؟ فقال: مخنَّث أهل بغداد، يعني أبا العتاهية. وكذلك كان يرى فيه هذا الرأي كثيرون، مثل: الفراء وجعفر بن يحيى وأبي نواس. وقد وازن الحرمازي بينه وبين أبي نواس، فقال: شهدت أبا العتاهية وأبا نواس في مجلس، فكان أبو العتاهية أسرع الرجلين جواباً عند البديهة، وكان أبو نواس أسرعهما في قول الشعر، فإذا تعاطيا جميعاً السرعة فضلَه أبو العتاهية وإذا توقفا وتمهلا فضلَه أبو نواس. وقد يرجع هذا إلى ما كان لأبي نواس من دراسة واسعة في اللغة وغيرها من العلوم، فلا يخفى أن مثل هذه الدراسة لم يتح مثلها لأبي العتاهية(١).

وفاتـــــه:

ذكر المسعودي أنه "في سنة إحدى ومائتين، مات إسماعيل بن القاسم متنسكًا لابسًا الصوف"(٢).

معنى الأرجوزة والفرق بينها وبين القصيدة:

الرَّجَز بحر من بحور الشعر معروف، وتسمى قصائده الأراجيز، واحدها أرجوزة، ويسمى قائله راجزًا. "وإنما سمى الرجز رجزًا؛ لأنه تتوالى فيه

(١) ينظر مجلة الرسالة، العدد١١٥، صـــ٤٦ وما بعدها.

(٢) مروج الذهب للمسعودي، تح/ محمد محيي الدين عبد الحميد، مج/٢ص: ٤٢٥، دار الفكر.

حركة وسكون، يشبَّه بالرجز في رِجْل الناقة ورِعْدَتِها، وهو أن تتحرك وتسكن، ثم تتحرك وتسكن، ويقال لها حينئذ: رَجْزاء"(١).

وقد أُطْلِق لفظ حمار الشعراء على بحر "الرجز" في علم العروض، وذلك لأن هذا البحر يأتي تامًا ومجزوءا ومشطورًا ومنهوكًا، وبالتالي، يستطيع كل الشعراء – حتى المبتدئين منهم – أن ينظموا عليه قصائدهم، ولذلك سُمِّي "حمار الشعراء"، فهو سهل الركوب تمامًا، ومن الممكن ترويضه بكل أريحية. "وقد راق هذا الوزن الشعراء المحدثين فأكثروا منه في أراجيزهم المشطورة المزدوجة"(٢).

أما القصيدة فهي " في عُرْف النقاد القدماء ما تألف من عشرة أبيات فأكثر أو سبعة فأكثر. وما دون ذلك هو القِطْعة والمقطوعة. والأراجيز من ملحقات القصائد، والمقاطيع والمُزْدَوَج والمُسمَّط والموشَّح وسائر ما افتن فيه المتأخرون مما يجوز إلحاقه بالقصائد"(٣).

وتختلف الأرجوزة عن القصيدة؛ لأن القصيدة يكون البيت فيها مكوَّنًا من مصراعين، بينما يعد كل شطر في الأرجوزة بيتًا منفردًا. وكانت في بداية الأمر عبارة عن مقطَّعات بسيطة تجري على ألسنة الناس، ثم تطورت وانتقلت من المقطعات إلى الأراجيز، فكانت تستخدم بكثرة في العصر الجاهلي، فقال بعض الرواة: إن الرجز جاء قبل الشعر.

---

(١) كتاب أراجيز العرب، توفيق البكري الصديقي،٤، ط١، ١٣١٣ هـ.

(٢) أهَدى سَبيل إلى علمي الخَليل (العَرُوض والقافية)، للدكتور محمود مصطفى،٥٠، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.

(٣) المرشد إلى فهم أشعار العرب، عبد الله بن الطيب بن عبد الله بن الطيب بن محمد بن أحمد بن محمد المجذوب (ت ١٤٢٦ هـ)، ٩/٣، دار الآثار الإسلامية- وزارة الإعلام الصفاة – الكويت، ط٢، ١٤٠٩ هـ – ١٩٨٩ م.

أرجوزة ذات الأمثال:

أرجوزة ذات الأمثال من أشهر شعر أبي العتاهية، قال فيها صاحب الأغاني: "وهذه الأرجوزة من بدائع أبي العتاهية، ويقال إن له فيها أربعة آلاف مثل، منها قوله: حسبك مما تبتغيه القوت"(١).

سميت بـــ (ذات الأمثال)؛ لكثرة الحكم والأمثال فيها. وقد ورد ذكرها-مع اختلاف ترتيب الأبيات- إضافة إلى كتاب الأغاني في معاهد التنصيص(٢)، وفي شرح نهج البلاغة(٣).

ويبدو أن الأرجوزة لم تصل إلينا كاملة حسب الإشارة الواردة في كتاب الأغاني، وهي قوله: " له فيها أربعة آلاف مثل"؛ فعَدَد الأمثال في القصيدة المثبتة اليوم في ديوانه(٤) أقلُّ من ذلك بكثير، وقد جمع المحقق منها (٣٢٠) بيتاً .

والأرجوزة لا تعرض لموضوع واحد، أو لفكرة واحدة، ولكنها تعرض لعدة موضوعات، ولأفكار شتى، فكلّ بيت يعرض فكرة مستقلة، وقد تشترك عدة أبيات في عرض فكرة.

ومن الواضح أن توالي الأمثال في هذه الأرجوزة يأتي بلا رابطة بين مثل وآخر، ومن المحتمل أن صورة الأرجوزة الحقيقية أكثر ترابطاً عما هي عليه الآن في ضوء اضطراب ترتيب أبياتها وضياع قسم كبير منها.

---

(١) كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ،٤٢٠/٤ .

(٢) مَعاهِدُ التّنصيص على شواهِدِ التَّلخِيصِ، تصنيف أبي الفتح المصري عبد الرحيم بن عبدالرحمن العباسي، تحقيق/ محمد محي الدين عبد الحميد،(٢٨٣/٢)، عالم الكتب بيروت.

(٣) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، (٣٤٠/٣)، دار إحياء الكتب العربية عيسي البابي الحلبي، ط٢، ١٣٨٥هـ-١٩٦٠م.

(٤) أبو العتاهية أشعاره وأخباره ،٤٤٤، تح د/ شكري فيصل، دار الملاح للطباعة والنشر، مطبعة جامعة دمشق،١٣٨٤هـ-١٩٦٥م.

وأشاد بالأرجوزة غير واحد من الأدباء: وحُفظت منها أبيات اشتُهِرت على ألسنة الناس منه[١]:

عَلِمتَ يا مُجاشِعُ بنَ مَسعَدَة * أَنَّ الشَبــابَ وَالفَراغَ وَالجِدَة**

مَفسَدَةٌ لِلمَــرء أَيُّ مَفسدَة

وورد في الأغاني أنه قيل لأبي العتاهية: "أي شعر قلته أجود وأعجب إليك: قال: قولي[٢]:

عَلِمتَ يا مُجاشِعُ بنَ مَسعَدَة * أَنَّ الشَبــابَ وَالفَراغَ وَالجِدَة**

وقيل عنها "ومن أبرز الشعراء الذين استخدموا الشعر التعليمي في الموعظة والحكمة أبو العتاهية، الذي كانت له عدة قصائد تعليمية أسهم بها في ميدان نقل العلم والمعرفة للآخرين، وأخذت مكانها في تربية الذوق الإسلامي وتهذيب الناشئين ... ومن أبرزقصائده هذه أرجوزته المعروفة بذات الأمثال التي يقف فيها موقف المعلم من تلاميذه، أو الحكيم الواعظ الذي يوجِّه الناس ويريهم سبيل الرشاد من منبره"[٣] .

وتعد الأرجوزة من التجديد في الوزن والقافية، فقد استحدث العباسيون أوزاناً تلائم روح عصرهم وذوقهم الشعري، فجددوا في القافية، واستحدثوا "المزدوج"، و"المسمَّط"، و"المخمَّس". وأرجوزة ذات الأمثال من المزدوج[٤].

---

(١) أبو العتاهية أشعاره وأخباره ،٤٤٨.

(٢) كتاب الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى على بن الحسين ،٢٧٢/٤ .

(٣) حول الشعر التعليمي، صالح آدم بيلوالناشر،٢١٩/٥٢، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

(٤) المزدوج: هو أن يؤتى ببيتين من مشطور؛ أي بحر مقفيين وبعدهما غيرهما بقافية أخرى وهكذا، وقد احتاجوا إلى ذلك وأكثروا منه في نظم القصص الطويلة والحكم والأمثال ومسائل العلوم مما لا يراد به إلا مجرد الضبط؛ لسهولة الحفظ، وحرّموا هذا النوع أن يسمّى قصيدة مهما طال. وأول من نظم فيه بشار وأبو العتاهية ثم تتابع عليه الشعراء ومنها مزدوجة أبي العتاهية في الحكم، وقد سماها ذات الأمثال.[أهدى سبيل إلى علمي الخليل (العروض والقافية)،ص١١٧.]

المبحث الأول

الحث على القناعة والإسراع بالتوبة دراسة بلاغية

١- الدعوة إلى القناعة والزهد في الدنيا:

تبدأ نصائح أبي العتاهية بالحث على القناعة وعدم الطمع، فالقناعة صفة حميدة لمن تخلق بها، لأن فيها راحة للمرء من عناء الهم والنصب والتعب في هذه الحياة، والله سبحانه وتعالى قد كتب لكل مخلوق رزقه، وجاء نُصح أبي العتاهية بالقناعة في أرجوزته في قوله(١):

حَسبُكَ مِمّا تَبتَغيــهِ القــوتُ * ما أَكثَرَ القوتَ لِمَــن يَمــوتُ**

إِن كانَ لا يُغنيكَا ما يَكفيكــا * فَكُلُّ ما في الأَرضِ لا يُغنيكــا**

الفَقرُ فيما جــاوَزَ الكَفافــــا * مَن عَرَفَ اللَهَ رَجــا وَخافــا**

إِنَّ القَليــلِ بِالقَليــلِ يَكثُــرُ * إِنَّ الصَفاءَ بِالقَذى لَيَكــدُر(٢)**

يبدأ أبو العتاهية أبياته بدخول مباشر في الغرض منبهًا لعقل السامع وموقظه من غفلته باسم فعل الأمر (حسبك) الذي يحمل معني النصح والإرشاد والتحذير، وكاف الخطاب تُشعر كل قارئ للأبيات أنه المخاطب بذلك، كما أنها تساعد على المبالغة في تأدية المقصود كأنك أحضرت كل واحد ممن يصلح أن يخاطب وخاطبته بذلك، فينصح مخاطبه بالتوسط في طلب القوت فكثرة القوت لا تحمي من الموت.

ثم يستمر الشاعر في جذب المتلقى بأسلوب الشرط، لما في الشرط من إثارة الانتباه والترقب والتطلع لمجئ جواب الشرط، فيقول:

إِن كانَ لا يُغنيكَا ما يَكفيــكا * فَكُلُّ ما في الأَرضِ لا يُغنيكــا**

---

(١) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، ٤٤٦.

(٢) القذى: ما يقع في العين وفي الشَّراب، الصحاح في اللغة، مادة (قذي)، إسماعيل بن حماد الجوهري، تح/ أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ١٩٩٠م.

مكررًا ضمير المخاطب؛ "لإعطاء الكلام قوة تأثيرية من جهة أن المواجهة بالخطاب تقرب المسافات النفسية بالنسبة للسامع"(١)، فيكون أدعى لقبوله الفكرة المطروحة، فالشاعر يريد من السامع أن يكون في أقصي درجات اليقظة والانتباه ليعرف أن الطمع يمحق البركة ويُشعر النفس بحالة الفقر الدائم، وأن الطامع حتى وإن ملك الأرض فلن يشعر بالرضا، وأن الغنيَّ هو القَنُوع بما لديه، الراضي بما كتبه الله، ولذا فإن الشرط يحمل معنى اللوم والعتاب؛ ولذا صُدِّر جواب الشرط بلفظ (كل)، فهو أقوى صيغ العموم والإحاطة ليشمل كل ما في الأرض.

فالقناعة من وجهة نظر أبي العتاهية تعنى الكفاية، أي: أن يأخذ الإنسان من ماله ما يكفيه لضرورات حياته، وهذا في حد ذاته هو الغنى الحقيقي، أما الحرص –كما يراه– إحساس نفسي أو هيئة نفسية تدفع الإنسان إلى طلب ما يزيد على حد الكفاية، فالقناعة تشعر صاحبها بالطمأنينة، أما الحرص فيشعر صاحبه بالقلق فهو دائمًا يطلب المزيد؛ لأن المال الذي بحوزته لا يكفيه، فهو في فقر شديد، لا يدفعه كنوز الأرض؛ لأن الفقر هنا إحساس نفسي عميق لطلب المزيد، وقد أدى تكرار حرف الكاف في البيت إلى الارتفاع بجرس الكلام، وكأنه ناقوس يدق فيؤثر في السامع.

ويغيِّر أبو العتاهية مفهوم الفقر المعروف فيقول في البيت الثالث:

الفَقرُ فيما جاوَزَ الكَفـــافـا * مَن عَرَفَ اللَهَ رَجا وَخافـــا**

فليس الفقر في المال فقط، ولكن قد يكون في القيم والأخلاق، فالقوت الحقيقي هو قوت الروح، الذي يسمو بها ويرتقي، فعليه إذا أن لا يهتم

(١) التعريف في البلاغة العربية، حامد صالح خلف الربيعي، إشراف د منصور محمد على عبد الرحمن، ماجستير، صـــ٦٣، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، السعودية، ١٩٨٥م.

بدنس الدنيا من المال والجاه، فلن يضره الفقر إذا عرف طريق ربه واطمأنت روحه، فمن عرف القناعة خاف الله، لأن الطمع يؤدي إلى ضرر ليس بالفرد فقط، بل بالمجتمع، فيؤدي إلى مفاسد اقتصادية، مثل ما نجده اليوم من تلاعب التجار بالأسعار واحتكار السلع؛ ولذا فإنَّ القناعة تكمن في غنى النفس، فأبو العتاهية يرى أنّ القناعة طريق لغنى النفس وفلاحها، وعبر بالجملة الاسمية (الفَقرُ فيما جاوَزَ الكَفافا) وكأن هذا الكلام حقيقة ثابتة .

وقد اتخذ أبو العتاهية في سبيل الدعوة إلى مكارم الأخلاق الإثارةَ العقلية، التي تقوم على أسلوب التفلسف واستخدام الحجاج والقياس المنطقي، فنجده يدعو إلى القناعة مستخدماً هذا الأسلوب، فيقول:

إنَّ القَليـــلِ بِالقَليـــلِ يَكثُـــرُ * إنَّ الصَفاءَ بِالقَــذى لَيَكْــدُرُ**

فنراه قد استخدم القياس المنطقي ليقرر هذه المفارقة، وهى أن القناعة هـــي الغنى الحقيقي، وأن الجشعَ هو الفقر وإن كان صاحبه يملك مالاً كثيراً، فقد جاء البيت في ثوب التوكيد، حيث حشد العديد من وسائل التوكيد (إن – اسمية الجملة– لام التَّأكيد) وقد وظَّف أبو العتاهية التوكيد كمنبِّه تعبيريّ لجذب انتباه المتلقي ولفته؛ وذلك لغرض غرس فضيلة القناعة وتقريرها في نفس المخاطب، فمن لا يملك إلا القليل مع الرضى يبارك الله له فيه فيكثر بهذه البركة، أمَّا من لا يرضى تُنغَّص حياته. ومن أجل تأكيد المعنى وترسيخة في النفس البشرية جاءت ثنائية الطباق بين (القليل – يَكْثُر) (الصفاء – ليَكْدُر)، "إذ الضد أقرب خطورًا بالبال عند ذكر ضده، فالطباق ينقل غرض المتحدث ويبرزه في صورة قوية مؤثرة "[1].

(١) الصبغ البديعي في اللغة العربية، د/ أحمد إبراهيم موسى ،٤٧١، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، ١٣٨٨هـــ –١٩٦٩م.

ومن حرص الشاعر على جذب المتلقي وكسب تفاعله ؛ عمد في أبياته إلى أن يشاكل بين الكلمتين الأخيرتين في البيت العروض والضرب، كـــأنه يحاول أن يجعل للبيت قافية واحدة داخلية .

ويُرغِّب أبو العتاهية في القناعة فيقول(١):

طوبى لِمَن يَقنَعُ مـــا أَغنـــاهُ * وَيحَ مَـــنِ اسْـــتَعبَدَهُ هَـــواهُ**

يجمع هذا البيت بين الترغيب والترهيب؛ حيث يُبشِّر أبو العتاهية الإنسان القنوع بالسعادة والخيروالنعيم بلفظ (طوبى)، فبدأ بذكر العاقبة للحث والترغيب في القناعة،ويحتمل أن تكون للدعاء(٢)، وفي المقابل يذكر العاقبة الوخيمة لمن طمع، فيتحسر على الطامع بلفظ ويح(٣)، فمن استعبده هواه لم يتحرر من الرق أبداً، وهو مستعبد لأسخف الآلهة الكاذبة (الهوى)، وأشدها

---

(١) أبو العتاهية أشعاره وأخباره:٤٦٤ .

(٢) طوبى: فُعْلَى من الطيب، وهي مصدر كالرجعي واليسرى، فإن قيل: فكيف جاز الابتداء بها في قولك: طوبى لك وقول الله عز وجل"(طوبى لهم وحسن مآب) وهي نكرة؟ فإنما جاز ذلك لأنها في معنى الدعاء، مثل: سلام عليكم.....، ويجوزأن تكون طوبى اسما علما للجنة. [ينظرسفر السعادة وسفير الإفادة، تأليف/ علي بن محمد بن عبد الصمد الهمداني المصري الشافعي، أبو الحسن، علم الدين السخاوي (ت ٦٤٣ هـــ(، تحقيق/ د. محمد الدالي، تقديم/ د. شاكر الفحام، دار صادر، ط٢، ١٤١٥ هـــ - ١٩٩٥م].

(٣) (ويح) كلمة رحمة لمن وقع في هلكة لا يستحقها، كما أن ويل كلمة عذاب لمن يستحقه ..... قال الزمخشري: ويح وويب وويس ثلاثتها في معنى الترحم، وقيل: ويح رحمة لنازل به بليَّة .....عن الفراء أن ويح كلمة شتم ودعاء، استعملوها استعمال: قاتله الله، في محل الاستعجاب ثم استعظموها فكفوا عنها بويح. [ينظرفيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، المكتبة التجارية الكبرى – مصر، ط١، ١٣٥٦ هـــ].

قوة وضراوة على سبيل الاستعارة المكنية. ومَن سمَت نفسه عن مطامع الدنيا وشهواتها، وجد الحق حلواً عذب المذاق، من حيث يجده غيره مرًّا كريه المذاق. وقد استفاد أبو العتاهية من معنى الشمول والاستغراق الذي يؤديه الاسم الموصول (من)[1]، في تعميم ما يبثه من آراء وعِبَر؛ خاصة مع مجيء صلته جملة فعلية مضارعية (يَقنَعُ ماأَغنــاهُ)؛ حيث استُفِيد من دلالة المضارع على التجديد واستحضارالصورة حية في الذهن، فجَمَع بين العموم والتجديد واستحضار الصورة ليكون أوقع في النفس.

ثم يشير إلى أعلى درجات القناعة فيقول[2]:

اِستَغنِ بِاللَــهِ تَكُــن غَنِيّــاً * اِرضَ عَنِ اللَــهِ تَعِش رَضِيّا**

بأسلوب يفيض بالحكمة والموعظة الحسنة يشير أبو العتاهية في هذا البيت إلى أعلى درجات القناعة وهو الاستغناء بالله؛ حيث إن الإنسان يظهر منه الغنى بالله فيصبر على المنع، وفي هذه الحالة أيضًا يكون الجزاء من جنس العمل، فإما أن يغنيه الله من عنده فيعطيه ما يستغني به عن السؤال. وإما أن يخلق في قلبه الغنى؛ فإنّ الغنى غنى النفس. فمن استغنى بالله حق الاستغناء أغناه الله تمام الغِنى، فأغنى الناس حقًا، وأبسطهم رزقًا، وأوفرهم حظّا هو المستغني بالله عما سواه، ومن تمام الاستغناء بالله الرضا، فإذا وصل العبدُ إلى تلك الدَّرجة السَّامقة، وهي الرِّضا عن الله تعالى، حصَّل ونال أشرف الثمار.

وقد وظَّف الشاعر لهذا المعنى فِعْلَي الأمر (استغن – ارض) بما يحملان من معنى النصح والإرشاد، وتنبيه المتلقي؛ فالأساليب الإنشائية تنبه العقول

---

(١) ينظر أسرار التعريف والتنكير في الحديث النبوي دراسة بلاغية تطبيقية تحليلية في صحيح البخاري، ١٢٣، أحمد محمد النور أحمد، إشراف د/ عبد الرحمن عطا المنان، دكتوراه، كلية اللغة العربية، جامعة أم درمان ٢٠٠٥م.

(٢) أبو العتاهية أشعاره وأخباره ،٤٥٣.

وتحرك المشاعر، وتوقظها من غفلتها وسباتها العميق؛ لتراجع نفسها. وجاء جواب الطلب مجانساً لفعلي الأمر (استغن – غنيًا) (ارض –رضيا)، وجمال الجناس هنا ما يحدثه من مفاجأة، فيوهمك بتكرار الألفاظ وتواردها على المعنى الواحد، فإذا ما دقَّقت النظر وجدت المعاني مختلفة متباينة .

وكذلك فيها ردّ للعجز على الصدر (ارض – رضيا) فقد وقعت الكلمتان في الشطر الثاني من البيت؛ واحدة في أوّلِه، والأخرى في آخِرِه. وهذا اللون البديعي فيه تقريرٌ وبيانٌ وتدليلٌ، وفيه نوع من زيادة المعنى، حاصل من إيحاء اللفظ الأوَّل بالثاني الذي هو تكرار له، فهو رابط من روابط التذكر، وفيه فوق كل ما تقدَّم رونقٌ من حسن السَّبك في الصناعة. ومعنى هذا البيت مقتبس من قول الرسول ﷺ: (وارْضَ بِما قَسمَ اللهُ لكَ تكُنْ أغْنى النَّاسِ)(١).

وهكذا أظهر لنا الشاعر (أبو العتاهية) في دعوته إلى القناعة أهميتها من الناحية الأخلاقية والاجتماعية؛ فالقناعة من الناحية الأخلاقية تبث في صاحبها أخلاقاً فاضلة كالصبر والرضا، أما من الناحية الاجتماعية فإنها تُوَائِم بين طبقات المجتمع، فيشيع بينهم الرضا بالقليل والطمأنينة، حيث تُحِدُّ من خلق الطمع الذي يدفع إلى اكتناز المال وعدم التطلع لما في أيدي الغير، وهذا هو الغنى الحقيقي.

ويتابع أبو العتاهية نصحه فيدعو إلى الزهد في الدنيا ونبذها والتخلى عنها، والتوجه نحو الأخرة، فيقول(٢):

---

(١) حديث حسن، رواه أبو هريرة، انظر: كتاب سنن الترمذي، تأليف /محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق /أحمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة – مصطفى البابي الحلبي –مصر، ط: الثانية عام ١٣٩٥هـ – ١٩٧م: ٥٥١/٤ .

(٢) أبو العتاهية أشعاره وأخباره ،٤٤٦ .

التَركُ لِلدُنيا النَــجاةُ مِنهـــا * لَم تَرَ أَنهى لَكَ مِنها عَنهـــا**

مَن لاحَ في عارِضِهِ القَتــيرُ * فَقَد أَتاهُ بِالبَـــلى النَــذير(١)**

ينصح أبو العتاهية مخاطبه بالزهد في الدنيا (الترك للدنيا)؛ لأنّه إذا زهد في الدنيا تركها. مستعينًا بأسلوب القصر بتعريف الطرفين (التَركُ لِلدُنيا النَجاةُ مِنها)، فقصر النجاة من شرور الدنيا على تركها والزهد فيها. وقد أفاد القصرُ تمكينَ الكلام وتقريره في الذهن، واختيار الشاعر المواجهة بالخطاب في قوله: (تر– لك) يجعل السامع أكثر إيجابية وتفاعلا تجاه فكرة الزهد في الدنيا، ثم جعل الدنيا تنهي على سبيل الاستعارة المكنية في لفظ (أنهى)، والذي جاء على صيغة أفعل التفضيل للمبالغة، ولا يخفى أن تكرار حرف الهاء في البيت ما هو إلا حيلة لإشعارالمتلقي بتنهيدة الشاعر ونظرته للدنيا. وكذلك ساعد الجناس الناقص بين (أنهى– منها– عنها) على لفت ذهن المخاطب؛ ففيه نوع من المفاجأة التي تحدث للمخاطب، فإنه إذا سمع اللفظ معادًا أو قريبًا مما سمعه ظنه تكرارًا لما مر عليه قبل ذلك، فإذا نظر معناه في السياق وجده معنى جديدًا يغاير المعنى الذي سبقه، فيكون في ذلك تنبيه له لتأمل الكلام والتفطن لمغزاه، وذلك مما يهيئ النفوس لتتمكن المعاني فيها.

ويؤكد أبو العتاهية على فناء الدنيا وزوالها، فيذكر الشيب، فالشيب مقدمة ونذير للفناء، وذلك مدعاة للتأمل في الدنيا، والزهد فيها، والإعراض عنها. والعاقل من ينتبه، فمن عرف أن هذا مصير الدنيا هان عنده أمرها وزهد فيها، فلا دوام لها ولا لشيء من متاعها. وقوله (مَن لاحَ في عارِضِهِ القَتيرُ) كناية عن التقدم في العمر، وجاء جواب الشرط مؤكَّدًا بـــ(قد) للتأكيد. وفي قوله (أَتاهُ النَذير) استعارة مكنية حيث شبه النذير بالإنسان الذي يأتي. وقد فصل بين الفعل وفاعله بالجار والمجرور (بِالبَـــلى)، زيادةً في الردع والزجر

(١) القَتِير:المَشيب، لسان العرب مادة (قتر) .

والتخويف. وتأخير كلمة (النذير) لتكون محل القافية كان القصدُ منه التركيزَ على مراد الشاعر، لكون القافية تعد من مواضع العناية والاهتمام في الشعر؛ ولذلك وضع فيها ما أراد أن يُحفظ في الصدور أو يكون له وقْعٌ في النفوس.

ومما جاء للزهد في الدنيا أنها لا تبقى على أحد فعلينا ألا نتمسك بها، يقول(١):

يا عَجَباً مِمَّن يُحِــبُّ الــدُنيا * وَلَيسَ لِلــدُنيا عَلَيــهِ بُقْيَــا**

سلك أبو العتاهية مسلكًا تعبيريًا اعتمد فيه على استدعاء المعاني المؤثرة، فاستهل البيت بالنداء؛ حيث نادى على العجب على سبيل الاستعارة المكنية التي شبهت العجب بإنسان يُنادى، كما أن النداء يحمل معنى التحسر على من يحب الدنيا وهي ليست عليه باقية، ففيه تعريض بالدنيا وزخرفها كاشفا عوراتها إلى كل من خفي عنه شرها، فالدنيا لا تبقى على أحد على سبيل الاستعارة المكنية التي جسدت الدنيا .

ويُنفر أبو العتاهية من الدنيا فيقول(٢):

إِلَيكِ يــا دُنيــا إِلَيــكِ عَنّــي * ماذا تُريدينَ، تَخَلّــي مِنّــي**

يا دارُ دارَ الهَمِّ وَالمَعاصــي * هَل فيكِ لي بابٌ إِلى الخلاصِ**

يصوِّر أبو العتاهية دنياه بفاتنة لعوب تقترب بزينتها لتغري من تريد، ولكن هيهات هيهات لها من ذي اللب الذي علم حقيقتها وعلم أنها غرارة خداعة مكارة فتانة. وأبو العتاهية ينادي على دنياه على سبيل الاستعارة المكنية، قائلاً: اتركيني وشأني فلا تنالي مني شيئًا فأنا الحكيم الذي عرفتك، وسبرتُ أغوراك، وكشفتُ عن مساويك فغري أيتها الدنيا غيري. والنداء أفاد ودل على معنى زهد الشاعر في دنياه، ويدل على كره الشاعر لهذه الدنيا

(١) أبو العتاهية أشعاره وأخباره:٤٥٠.

(٢) أبو العتاهية أشعاره وأخباره: ٤٥٥.

ذات الغدر. ويلعب الاستفهام دورًا مهمًا في إنتاج دلالة بلاغية تخدم الاستعارة حيث جاء الاستفهام (ماذا تريدين؟) يحمل معنى التعجب، كما أن أسلوب الاستفهام يحمل القدرة على إيصال المعنى إلى المتلقى، بنغمة لا يقدر عليها أسلوب آخر؛ لكونه له تأثير في النفوس، ونفوذٌ في القلوب لا يخفى على ذي لُبٍ مستبصرٍ. وقد وظَّف الشاعر الاستفهام لجذب تركيز انتباه السامع إلى ما تكشفه الإجابة.

ثم ينادى علي الدنيا مُسمِّيًا إياها بدار الباطل والمعاصي، وفي إضافة (دار) إلى (الهَمِّ) وعطف (المعاصي) عليه ما يفيد التحقير، كما أن الإعراب عن المنادى بصفة له علاقة بما يُنادَى من أجله وهو التنفير من الدنيا، وتمنِّي الخلاص منها، فجاء الاستفهام بـــ(هل) الذي يفيد التمني (هَل فيكِ لي بابٌ إلى الخـــلَاصِ) كما أن الاستفهام ينقل للمخاطب حال الشاعر، وأنه قد بات غير مقتدر على أن يكبح جماح الشكوى. وفي إيراده التمنى بـــ(هل) إيماء إلى أنه يخيّل لنفسه، أن ذلك يمكن أن يكون، فيبدو أنه يتسأل: أيمكن أن يكون له ذلك؟ وهو يعلم أنَّ ذلك لا يكون، ولكنَّه يُمنِّي نفسَه.

وتوالي الأساليب الإنشائية وتآزرها مع بعضها بغرض إحداث أثر قوي في السامع، فالشاعر يحاول جاهدًا أن يحرك مشاعر السامع، ويدفعه للتفكير في حال الدنيا والزهد فيها، فما هي إلا دار هَمٍّ ومعاصٍ، فيحرك أفكاره بعدة استفهامات متلاحقة تسلط الضوء على نقاط واضحة .

ويقول[1]:

نَحنُ مِنَ الدُنيا عَلى وِفـــــازِ * طوبى لِمن أَسرَعَ في الجِهازِ[2]**

(١) أبو العتاهية أشعاره وأخباره ،٤٥٦.

(٢) الوَفَزَةُ: العَجَلَة، والجمع أوْفاز، ويقال نحن على أوْفازٍ أي على سفر قد أشْخَصْنا. [لسان العرب مادة (وفز).]

وَكُلٌّ مَأخوذٍ فَسَــوفَ يُتــرَكُ * وَالمُلكُ لا يَبقــى وَلا المُمَلَّــكُ**

أَتَت مُلوكٌ وَمَضَــت مُلــوكُ * غَــرَّتهُمُ الآمــالُ وَالشُــكوكُ**

يشير أبو العتاهية في هذه الأبيات إلى أن الدنيا دارُ فناء وزوال، وأن الاطمئنان إليها غيرُ باقٍ، وكل شيء يزول، فهنيئًا لمن استعد ليوم الرحيل بالعمل الصالح، وتجنب الآثام، وقد استعار لفظ (الجهاز) لما يدخره الإنسان من العمل الصالح على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية. ثم يعتمد على أسلوب التأمل العقلي والفلسفي في الحث على التفكر في أحوال السابقين، فإن من رحلوا عن الدنيا عبرةُ لمن كان يعتبر، فلننظر إلى ملوك الدنيا كم كانوا حريصين على ملكهم ألّا يزول، ولكن اغتروا بسبب هذه الآمال وهذه الشكوك. والمجاز العقلي نراه ماثلا في قول الشاعر (غرتهم الآمال والشكوك)، فقد أُسْنِدَت الآمال ومعطوفها إلى الفعل (غرتهم)، وذلك على سبيل المجاز العقلي، والعلاقة هنا السببية؛ لأن الملوك اغتروا بسبب الآمال والشكوك، ومن ثم يجب على الإنسان أن يتأمل مصيره، ويدرك أنه ماضٍ إلى ما مضى إليه أسلافه، وأن أصحاب الجاه والسلطان يستوون مع عامة الناس في الموت. تلك طريقة العقلاء، أما غيرهم من الجهلاء فيأمنون صروف الدهر.

وتنكير (ملوك) مع الجمع أفاد التكثير والمبالغة، وقد أفادت هذه المبالغة قوة في النغم، وتأزر معها الجناس الذي شاع في الأبيات (الملك –المملك– ملوك) (ملوك– شكوك)، وكذلك الطباق بين (مأخوذ–يترك) وبين (أتت – مضت) كأنه طرقات يُطرق بها الذهن ليوقظه إذا غفل، وينبهه إذا نسي، حتى يثبت المعنى ويؤكده في ذهن السامع. وتضمين الشعر من موسيقى يمكن أن يدخل تحت الأسلوب الغنائي، وهو ما يستعين به الشاعر ليجعل حديثه أقرب إلى مكان الحفظ حتى لا يُنْسَى بسهولة.

وهذه الأبيات تصغِّر من شأن الدنيا وتبيِّن حقارتها وسرعة زوالها وانقضاء نعيمها، وأنها دار غرور وفتنة الغافلين. والمراد من ذلك أن يُزَهِّد الناس فيها بإخراج حبها من قلوبهم.

ويقول(١):

ما زالَتِ الدُنيا لَنــا دارَ أَذى مَمزوجَةَ الصَفوِ بِأَلوانِ القَذى

الخَيــرُ وَالشــرُّ بِهــا أَزواجُ لــذا نِتــاجٌ وَلِــذا نِتــاجُ

يقول مُعرِّضًا بالدنيا وزخرفِها، كاشفا عوراتِها إلى كل من خفي عليه شرها فهي دار أذى، كذلك صُورَتُها ليست نقية، فالصفو ممزوج بالقذى، على سبيل الاستعارة المكنية. وقدَّم أبو العتاهية الجار والمجرور (لنا)؛ للإشارة إلى أنه منهم، ويوضِّح لهم حقيقة الدنيا لِمَصْلَحَتِهم، ففيه زيادة تنبيه.

والشاعر حين يجانس بين لفظة (أذى) ولفظة (قذى)، لم يقصد جمال الإيقاع فقط، ولكن ليظهر للمتلقى أن ألم أذى الدنيا أصعبُ من القذى الذي يصيب العين، ويظهر اختلاف ركني التجانس في نــوع الأصوات، مما يؤدي إلى اختلاف في الإيقاع بين المتجانسين، فهما يختلفان في الصــوت الأول [أ، ق] مخرج الهمزة ومخرج القاف، الهمزة ذلك الصوت الحنجــري والانفجــاري المجهــور، والقاف ذلك الصوت اللهوي الانفجاري المهموس. وهناك تقارب بين الهمزة والقاف، حيــث إن في لغة الحضر اليوم تلفظ القاف همزة على سبيل التخفيف، وكلا اللفظــين يــدل علــى الألــم والتوجع، ولكن صوت الهمزة يكسب اللفظ قوة وشدة لأنه يمتاز بالجهر، بينما صــوت القــاف يكسب اللفظة السكينة والهدوء؛ لأنه يمتاز بالهمس، فالألم الذي يسببه الأذى أكثر وأعم وأشــمل من الألم الذي يسببه القذى، وهو خاص بالعين.

(١) أبو العتاهية أشعاره وأخباره ،٤٥٩.

ثم يذكر أن الدنيا جامعةُ متناقضات خير وشر، للخير نتيجته وللشر نتيجته، فمن يعمل خيرًا يجد خيرًا، ومن يعمل شرًا يجد شرًا.

٢- الحث على الإسراع بالتوبة:

يظهر صدق الدّعوة إلى التّوبة والاستغفار عند شاعرنا؛ لأنه عاش جزءاً من حياته في المجون، فيقول(١):

حَتّى مَتى المُذنِبُ لا يَتــوبُ * أَما تَرى ما تَصنَعُ الخُطــوبُ**

يحث الشاعر على التوبه عن طريق الاستفهام وغرضه التوبيخ والتعجب من هذا المذنب الذي عكف على شهواته، وسار في غيِّه، مُعرضًا عن الرجوع إلى مولاه، وبيّن أن الخطوب تعمل على فناءه وهلاكه، مستخدمًا في ذلك التأمل العقلي) أما ترى) كمساعد على إبراز المطلوب. وقد اختار الاستعارة المكنية في قوله: (ما تصنع الخطوب) حيث شبَّه الشدائدَ بإنسان ورمز إليه بشيء من لوازمه (تصنع)، وقد وقعت الاستعارة في نظم محكم بديع حيث صدر الشاعر بيته بهذا الاستفهام (حتى متى؟) الذي يفيد الاستبعاد والتوبيخ، ثم جاء الاستفهام المنفي في الشطر الثاني الذي أفاد التقرير ولفْت المخاطب إلى أن يتبصر الدنيا من حوله، فالعاقل إذا رأى ما حلَّ بغيره لا بد أن يتبصر ذلك، ويستحضره ويكون عبرة له. وقد أفاد الالتفات من الغيبة (لا يتوب) إلى الخطاب (أَما تَرى) إلي زيادة التنبيه واليقظة، فالمخاطب إذا سمع خلاف ما يترقب نشط وأصغى إليه.

ويقول(٢):

نَلعَبُ وَالــدَهرُ بِنــا سَريـــعُ * وَالمَوتُ فينا دائِبٌ ذَريـــعُ(٣)**

***كُلُّ بَني الدُنيا لَها صَريعُ ***

(١) أبو العتاهية أشعاره وأخباره: ٤٥٦.

(٢) أبو العتاهية أشعاره وأخباره ،٤٥٧.

(٣) ذَرِيعَ المشْي أي سريعَ المشْي واسعَ الخَطْوة، لسان العرب مادة (ذرع).

أَلا انتَبِه ثُمَّ انتَبِه يـــا نـــاعسُ * أُخَيَّ لا تَلعَب بِكَ الوَســـاوِسُ**

دُنيايَ يا دُنيايَ يا دارَ الفِتـــنْ * يا دارُ يا دارَ الهُمومِ وَالحَزَنْ**

يا غِيَرَ الدَّهْرِ وَيا صَرْفَ الزَمَنْ * إِن أَنا لَم أَبكِ عَلى نَفسي فَمَن**

يتعجب أبو العتاهية ويقول كيف نلعب، وحال هذا الدهر سريع في فنائنا وهلاكنا، وكذلك فالموت لا يهدأ فهو دائب على أخذ أرواح الأحياء، والدنيا أيامها معدودة، وساعاتها منقضية وسريعة؛ ولذا فهو يذكِّر اللاهين –وهو منهم– بتلك الحقيقة التي صرفهم اللهو واللعب عنها، ألا وهي حقيقة الموت، واختار لهذا المعنى الاستعارة المكنية في قوله: (والدهربنا سريع) و(المَوتُ فينا دائِبٌ ذَريـــعُ)، وهذا الخيال قائم على التشخيص، الذي يصوِّر الأحداث لجذب انتباه السامع وتذكيره، ولذا استخدم أقصى أسلحته التي لجأ بها إلى التخويف والترهيب، فكان الموت هو السلاح الفاعل في تحقيق هذه الغاية، فالموت باب وكل الناس داخله لا محالة .

ولنا أن نتخيّل الأثر النفسي الذي تحقّقه الأبيات في اختيار الشاعر لتلك المفردات التي تساعد على تداعي المعاني في مخيلة المتلقي، إذ إنّ لفظي (الموت–صريع) تُخِيف النفوس، فكيف بها إذا وظِّفت في سياق شعري مؤثر؟

وقد عطف جملة (وَالمَوتُ فينا دائِبٌ ذَريـــعُ) على جملة (وَالدَهرُ بِنا سَريعُ) للتوسط بين الكمالين فهما متفقتان في الخبرية لفظًا ومعنى.

وبعد هذا التخويف تظهر بلاغة الشاعر في أسلوب اللفت والتنبيه والإيقاظ في قوله (أَلا انتَبِه ثُمَّ انتَبِه يا ناعـــسُ)، حيث افتتح بيته بأداة الاستفتاح (ألا) التَّنبيهيَّة التي تفتح نوافذ العقل والقلب لما يأتي بعدها لأمر عظيم، ثم نجد الالتفات من التكلم (نلعب) إلى الخطاب (انتبه)، ليفيد هذا الالتفات تنبيهًا جديدًا، ويزيد من اللَّفت والتنبيه فعل الأمر(انتبه)، ويطنب بتكريره زيادة في التأكيد. وفي (ثم) دلالة على أن التنبيه الثاني أبلغ وأشد، فضْلا عن التَّنْبيهِ

بالنداء (يا ناعس) واختياره لفظ (ناعس) يوحي بشيء من التوبيخ، كُلُّ ذلك قد اجتمع مع (ألا) التَّنبِيهيَّة في تركيبٍ واحدٍ؛ مما ضاعف من التنبيه، وزيادة التشويق، والاهتمام بالأمر.

ونراه يلين قليلاً ويشفق على المتلقى فيقول (أُخَيّ)، فهذا اللفظ للدلالة على الرحمة والشفقة، وإظهار مدى الحرص الشديد من الشاعر على النصح الخالص، والوعظ الصادق في النصح والإرشاد، وفيه لطيف محاورة، كما حذف أداة النداء (أخى) للدلالة على القرب، وقد فصل بين الفعل وفاعله في قوله: (لا تلعبْ بك الوساوس) بالجار والمجرور (بك) للاختصاص، ثم يتبع النداء بالنهي الذي يفيد أيضًا النصح والارشاد، فعلى المرء أن يعلم أن الوساوس عدو له، تُوقِعُه في الهلكة إذا لهث وراءها، ونراه يشبهها بإنسان وذلك على سبيل الاستعارة المكنية التي حذف فيها المشبه به، ورمز إليه بشيء من لوازمه (تلعب)، وفي هذا تشخيص للوساوس وإبراز لها في صورة حية .

وساعدت أداة النهي (لا) على إيصال المعنى؛ وذلك لأن الشاعر في مقام وعظٍ وتنبيه وإيقاظٍ وتحذيرٍ، وحرف (لا) لام بعدها ألف، يمتد بها الصوت ما لم يقطعه تضييق النفس، فكان امتداد لفظها إيذانًا بامتداد معناها.

ثم ينادي على الدنيا واختار لها من الأسماء (دار الفتن–دار الهموم–الحزن)؛ وذلك لغرض ذم الدنيا والتنفير منها، وتزهيد السامع فيها، وعدم التعلق بأمانيها الكاذبة، وفي نداء الدار استعارة مكنية، وقد كرر أسلوب النداء بألفاظه وموسيقاه وتركيباته ليكمل الصورة الاستعارية، فالشاعر من خلال ندائه يريد أن ينفث عما يُضمره داخله من آهات تجاه الدنيا، ثم يسألها (إِن أَنا لَم أَبكِ عَلى نَفسي فَمَن). وقد لعبت الضمائر دورًا بارزًا في بيان الحسرة، فظهر الصوت بالهمزة والنون في ضمير التكلم (أنا) ثم أتى بياء المتكلم (نفسي) – بما فيها من مد الصوت بالكسرة الطويلة–، وحذف جواب الشرط (فمن يبكي) يمثل حالة نفس الشاعر من مشاعر التأسف، مما يختنق به الصدور، وتشجى به الحلوق، فتثقل الألسنة، وتخفت الأصوات.

المبحث الثاني

الحث على الصدق والحلم والكرم

ومصاحبة الأخيار وطيب الحديث دراسة بلاغية

١- الحث على الصدق:

الصدق حلية المتقين وصفة المرسلين، عُرف الرسول ﷺ بـــ"الصادق الأمين"؛ ولذا وجدنا الإسلام يدعو اتخاذ الصدق خلقاً اجتماعيًّا ومنهجًا شاملاً للحياة، وحذَّر من مغبة الكذب وما يخلفه من أخطار على الدين والمجتمع، قال تعالى: -﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾[١].

يحث أبو العتاهية على الصدق فيقول[٢]:

الصِدقُ وَالبِرُّ هُما الوِقـــاءُ * يومَ تَقومُ الأَرضُ وَالسَمـــاءُ**

جمع الشاعر بين الصدق والبر عن طريق العطف بالواو، فبهما تجتمع جميع الخصال الحميدة؛ لأن البر هو "التوسع في فعل الخـــير، بحيث يشمل الإيمان وإنفاق المال، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والوفاء بالعهد، والصبر الذي أرشد إليه الإسلام وجعله سببًا للفلاح والنجاح"[٣]. فمن جمع هذه الصفات إلى جانب الصدق كانت له وقاء، دل على ذلك التشبيه البليغ في قول الشاعر (الصِدقُ وَالبِرُّ هُمـــا الوِقاءُ)، حيث شبه الصدق والبر بالواقي الذي يصون صاحبه عن الأذي. وقد جاء ضمير الفصل (هما) لتأكيد المعنى، كما

---

(١) الزمر آية،٣٢، ٣٣.

(٢) أبو العتاهية أشعاره وأخباره :٤٥٠.

(٣) صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال، تأليف/ القاضي حسين بن محمـــد المهدي:٣١١، – المكتبة الشاملة رقم ٨٣٧٢.

أفاد القصر الإضافي، باعتبار أن ضمير الفصل من أساليب القصر التي أقرها البلاغيون. والقصر في حقيقته تأكيد فوق تأكيد لأن المتكلم يعبر عن جملتين في جملة واحدة، ففي الشطر الأول أسلوبان من أساليب الحصر هما ضمير الفصل وتعريف الطرفين وفي الجمع بينهما إفادة تحقيق معنى القصر وتأكيده للعناية به، وجاء الشطر الثاني (يَومَ تَقومُ الأَرضُ وَالسَمـــاءُ) كناية عن موصوف وهو يوم القيامة.

وجاء الحث على الصدق من خلال التحذير من الكذب في الأرجوزة في قوله(١):

المَكرُ وَالخِبُّ أَداةُ الغـــادِرِ * وَالكَذِبُ المَحضُ سِلاحُ الفاجِرِ(٢)**

جمع هذا البيت التحذير من المكر والخداع والكذب في صورة بيانية وهي التشبيه البليغ، كما أنه من قبيل التشبيه المفروق؛ حيث شبه المكر والخداع بأداة الغادر، كما شبه الكذب الخالص بسلاح الفاجر، والمتسلح بالكذب يعتبر أعزل، لذا يعد الصدق أعظم سلاح يتسلح به الإنسان. والغرض من التشبيه التنفير من المشبهات، وهي المكر والخب والكذب، ولتأكيد التحذير جاءت الجمل اسمية؛ لإبراز معناها في صورة الحكم الثابت المستقر، والقاعدة لا تقبل الشك. ولعل التعبير بلفظ الفاجر هنا أوقع في النفس؛ لأن ظلال هذه الكلمة تعني أن الفاجر ما وجد سوءًا إلا فجره وارتكبه، فالارتباط بين الكذب والفجور نابع من داخل النفس البشرية.

ولسائل أن يسأل: لماذا جمع الغدر والكذب معًا؟ والجواب في قول على بن أبي طالب –رضي الله عنه وأرضاه–: "الوفاء توأم الصدق"(٣)،

---

(١) أبو العتاهية أشعاره وأخباره: ٤٤٧.

(٢) الخِبُّ: الخِداع ،مقاييس اللغة مادة (خب).

(٣) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، لجار الله الزمخشري توفي ٥٨٣ هـ، ٣٠٠/٥، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١، ١٤١٢ هـ.

وفي المقابل يكون الغدر تؤام الكذب. وأيضًا هناك ارتباط بين الكذب والمكر، رابط أساسي غير ملفوظ متمثل في أنهما من أسوء الصفات، وهذه العلاقة التي استدعت وجود الرابط الثاني وهو الواو الموجودة بين الجملتين. وهناك رابط ثالث نتج من مراعاة النظير بين (أداة – سلاح). وقد أفاد أبو العتاهية من وصية الرسول ﷺ لأبي بكر الصديق – رضي الله عنه– حين حثه على الجمع بين الصدق والوفاء، فقال: "قال لي رسول ﷺ: يا أبا بكر، عليك بصدق الحديث، ووفاء بالعهد، وحفظ الأمانة، فإنها وصية الأنبياء"(١)، ولذا حذَّر أبو العتاهية في هذا البيت من عكس هذه الصفات.

كما جاء الجمع بين الكذب والفجور في قول الرسول ﷺ: "عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَالْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَالْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ"(٢).

٢- الدعوة إلى الحلم والتسامح والصبر:

الحلم من أبرز الخصال الخلقية التي أكدتها أرجوزة أبي العتاهية، وهي خلةُ تُكسب صاحبها رزانةً ووقاراً، وهي نعمةُ من النعمِ التي أنعم الله بها على الإنسان؛ حفظًا للتوازن في حالة الغضب، جاء عن الرسول ﷺ في قوله: "ما نَقَصت صدقَةٌ مِن مالٍ، وما زاد اللهُ عبـــدًا بِعفْوٍ إلا عِزًّا، وما تَواضع أَحد لِلّهِ إلا رفَعه الله"(٣).

---

(١) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، ٢٩٩/٥.

(٢) الموطأ، مالك بن أنس، صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي ٩٨٩/٢، الحديث رقم ١٦، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٥م.

(٣) المسند الصحيح المختصر، تأليف /الإمام مسلم النيسابورى – تحقيق/ محمد فـؤاد عبد الباقي – دار إحياء التراث العربي – بيروت: ٢٠٠١/٤.

والصبر من الأخلاق والآداب المهمة التي يجب على المسلم أن يتحلَّى بها، وأن يُدَرِّبَ نفسه عليها، مع ما في ذلك من جهد ومجاهدة. وحياة المؤمن كلها محورها الصبر، فهو يصبر على طاعة الله تعالى، ويصبر أيضًا عن معصيته، كما يصبر على ما يصيبه من ضرَّاء في الحياة الدنيا تبعًا لأقدار الله بحلوها ومرها، لا يجزع ولا ييأس من رحمة الله، ولا يغترَّ بما هو فيه من نِعم؛ فيزلَّ خائبًا يخسر دنياه وآخرته. وليس أدلّ على ذلك من ربط الصبر بالفلاح حيث قال جلّ شأنه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(١).

ويحث أبو العتاهية على التسامح والصبر، فيقول(٢):

ما أَوسَعَ الدُنيا عَلى المُسامِحِ * ما فـــازَ إِلّا كُلُّ عَبدٍ صـــالِحِ**
عاقِبَةُ الصَبرِ لَها حَـــــلاوَة * وَعـــادَةُ الشَرِّ لَها ضَــراوَة**
تَعَزَّ بِالصَــبرِ عَلى ما تَكــرَهُ * وَلا تُخَلِّ النَفسَ حينَ تَشرَهُ(٣)**
النفسُ إِن أَتبَعتَهــا هَواهــا * فاغِرَةٌ نَحوَ هَواهـــا فَاهَـــا**

يدعو أبو العتاهية إلى التسامح عن طريق فعل التعجب (ما أَوسَعَ) الذي يفيد تعظيم المسامح، فالإنسان المسامح يوسع الله عليه دنياه على سبيل المجاز، ويزيد استمتاعه بها، وقرَن الصلاح بالتسامح، وجاء القصر في الشطر الثاني وطريقه النفي والاستثناء، حيث قصَر الفوز على الصلاح، فمن كان التسامح صفته كان من الصالحين، وكان جزاؤه السعادة في الدنيا والفلاح في الأخرة، ففي هذا البيت بشرى بالفوز والصلاح.

---

(١) آل عمران الآية ٢٠٠.

(٢) أبو العتاهية أشعاره وأخباره :٤٥٩.

(٣) تعزَّ: من العزاء والتعزية، وهو الصبر والتسلية بعد المصيبة . الشَّرَه: أَسْوأُ الحِرْصِ، وهو غلبة الحِرصِ، لسان العرب مادة (شره).

ثم يذكر نهاية الصبر وأجره، فمَن تذكّر حلاوةَ العاقبة نَسِيَ مرارة الصبر، وقد شبه العاقبة بالطعام الذي يُتَذَوَّق، على سبيل الاستعارة المكنية، ولفظ (حلاوة) يستدعى الارتياح. ثم شبه ما يعتاده الإنسان من الشر بالحيوان المفترس وحذف المشبه به ورمز إليه بشيء من صفاته (ضَراوَة)، وقد جاء بهذه الاستعارة ليوضح قسوة الشر على الإنسان حتى إنها أصبحت تفترسه افتراس الوحوش الضواري، وذلك مما يستثير مشاعر المتلقي.

ثم يقول (تعزّ) فعل الأمر للنصح والارشاد، وقدم الجار والمجرور (بالصبر) لبيان أهمية الصبر؛ فالمتكلم يقدم –غالبًا– ما يريد أن يشغل به المخاطب، كما أن التقديم مراعاة لقافية الشطر. ثم أَتْبَع الأمر بالنهي (ولا تخل)، فهو يطلب من المتلقي بأن يتسلى بالصبر على ما يكره، ولا يعيد الشر بالانتقام وألا يتبع نفسه بأن يأخذ حقه، وجاء البيت الرابع:

النَـفسُ إِن أَتبَعتَهـا هَواها * فاغِرَةٌ نَحوَ هَواهـا فَاهَـا**

تعليلًا للنهي في قوله: (وَلا تُخَلِّ النَفسَ حينَ تَشْرَهُ)، وهو ما يقوِّي داعي الامتثال؛ ويُعْرِب عن رغبة الشاعر في تثبيت السلوك من خلال الإقناع. ومما يقوي المعنى شبه التضاد بين (تكره وتشره)، كذلك تشبيه النفس بإنسان يفتح فاه، على سبيل الاستعارة المكنية، حيث حذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه (فاها)، فالاستعارة تعمل على تقريب المعاني إلى الأذهان، ورسمها في صورة شاخصة كأنها حقيقة ماثلة .

ومن الصبر: التسليم بالقضاء والقدر، فالإيمان بالقضاء والقدر من أركان الإيمان، وعقيدة من عقائد الإسلام، والمؤمن يؤمن بهما ويعلم أن كل شيء يقع في دنيا الناس بقضاء الله وقدره. وأبو العتاهية في أرجوزته ينصح مخاطبيه بالتسليم والرضا بالقضاء، فيقول[1]:

(١) أبو العتاهية أشعاره وأخباره ،٤٥٧.

رَضـــيتُ بِاللَـــهِ وَبِالقَضـــاء * ما أَكرَمَ الصَبرَ عَلى البَـــلاءِ**

يتحدث عن أقوى أنوع الصبر، وهو الصبرعلى البلاء والرضا بالقضاء. وانطلاقًا من طريقة الشاعر الوعظية نجده يوجِّه وعظَه للإنسان بأن يتجمَّل بالصبر إذا ما وقعت به مصيبة، وأن يسلِّم لقضاء الله وقدره، ويصبر على نوائب دهره، فكل شيء لا يخرج عن قضاء الله وقدره؛ فما أراده سبحانه كان وإن لم يرده العباد، وما لم يرده لم يكن، وإن أراده العباد.

والتعبير بلفظ الماضي (رضيت) يُشعر المتلقي بأن هذا الأمر واجب، وعليه أن يقتدي به، ولم يقل: (ما أفضل الصبر)، ولكن قال: (ما أكرم)؛تشبيها للصبر بالإنسان الكريم؛ للمبالغة في بيان أهمية الصبر على البلاء، وهو منع النفس عن التسخط والهلع والجزع، فهو أعلى مراتب الصبر. ولذا بشَّر الله من يصبر على البلاء بالرحمة فقال جل جلاله: (وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ۝ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ [١]).

ومن الحلم استغلال نعمة العقل، فيقول[٢]:

ما انتَفَعَ المَـــرءُ بِمِثلِ عَقلِه * وَخَيرُ ذُخرِ المَرءِ حُسنُ فِعلِـــه**

يوضح أبو العتاهية قيمة العقل وحسن الفعل الذي يدخره الإنسان لآخرته، ويعظ السامع باستغلال نعمة العقل التي منحه الله إيَّاها في الصالح النافع من القول والفعل. وقد ساق هذا المعنى في جملة تقريرية منفية ليقرر أهمية نعمة العقل، مؤكدًا أن أفضل نعم الدنيا نعمة العقل، عندما يُحسن الإنسان استغلالها في الصالح النافع من الخير يدخره آخرته. وقد كرر لفظ (المرء) في البيت وأخرج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر، فوضع الاسم

(١) البقرة آية ١٥٦، ١٥٧.

(٢) أبو العتاهية أشعاره وأخباره: ٤٥٤.

الظاهر (المرء) موضع المضمر (ذخره) "وذلك زيادة في تقرير المعنى وتمكينه في الذهن"(١).

٣-الحث على الكرم ونبذ البخل:

الكرم من القيم الإنسانية الأصيلة والشيم البارزة في تاريخ العرب القديم، والبخل من الصفات الرذيلة والمذمومة عندهم، فالكرم من الأخلاق التي تجسد النبل والإيثار والسخاء والجود، والبخل دليل على قلة العقل وسوء التدبير، يقول الله تعالى في كتابه الكريم محذرًا من البخل ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُمۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾(٢).

وقد تعوَّذ النبي الكريم ﷺ من البخل، فكان من دعائه: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ، وَضَلَعِ الدَّيْنِ، وَغَلَبَةِ الرِّجَال"(٣).

ويمدح أبو العتاهية الكرم ويذم البخل، فيقول(٤):

الـــجـــودُ مِمّا يُثبِتُ المَحَبَّةْ * وَالبُخلُ مِمّا يُثبِتُ المَسَبَّـــةْ**

يدعو أبو العتاهية في هذا البيت إلى الكرم هذا الخلق الإسلامي النبيل، إيماناً منه بأثره العميق في تعزيز روابــط الأخوة الحقة بين أفراد المجتمع،

---

(١) الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـــ(تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ٢٤٤/٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـــ/١٩٧٤م.

(٢) آل عمران آية ١٨٠.

(٣) صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، المحقق: د. مصطفى ديب البغا، رقم الحديث ٦٠٠٨، ٣٤٢/٥، دار ابن كثير، دار اليمامة – دمشق، ط٥، ١٤١٤ هـــ – ١٩٩٣م.

(٤) أبو العتاهية أشعاره وأخباره: ٤٥٠.

والقضاء على كل ما من شأنه أن يعكر صفو تلك الروابط أو ينقض عُراها، من حسد وحقد وبغض وكراهية. فالناس تضع أكبر الاحترام والتقـــدير لصاحب السخاء والكرم، بينما تسلب هذا الاحترام والتقدير من صاحب الـــشح والبخل وتجعله عرضة للقدح والسباب.

وتبرز المقابلةُ بين (الجـودُ مِمّا يُثبِتُ المَحَبَّة – وَالبُخلُ مِمّا يُثبِتُ المَسَبَّة) هذا المعنى. وتلك وسيلة من وسائل الإقناع في الـــدعوة إلـــى التحلـــي بالأخلاق الحميدة، وذلك عن طريق ذكر المعني وضده؛ إذ الضد يُبْـــرز حـــسنَه الضدُّ، كما قامت المطابقة بعملية فرز لمفردات كل خُلُق؛ فمفردات الجود تتجه نحو المحبة، على حين تتجه مفردات (البخل) نحو المسبة، أي إن الجود والبخل لا يختلفان في طبيعة كل منهما فحسب، بل يختلفان كذلك في غاية كل منهما، وهذا الاختلاف في الباعث والطبيعة والغاية لكل من الخلقين يعطي عمقًا لمفهوم كل من الخلقين. ولا يخفى دور الجناس بين (المحبة–المسبة) على تأكيد المعنى.

وقال: (يُثبِتُ المحبة والمسبة)، ولم يقل: (يُثبِتُ الحُبَّ والسَّبّ)؛ لأن المحبة تعني الثبات واللُّزوم في الحب، وكذلك المسبة تعني الثبات واللزوم في السب.

وجاءت الدعوة إلى الكرم ضمنية في ذم الشاعر للبخل، حين يقول[١]:

إِنَّكَ لَو تَستَنشِقُ الشَحيـــحا * وَجَدتَهُ أَخبَثَ شَيءٍ رِيـــحا**

صوَّر البخيل بصورة استعارية هازئة ساخرة؛ حيث شبه البخيل في صفاته وأخلاقه بالشيء الذى يُستنشق، فيكون كريه الرائحة، بل أخبث الروائح. وقد استخدم من وسائل الإقناع هنا (التوكيد بإنّ – الشرط – أفعل التفضيل)، كما أضاف (إن) إلى كاف الخطاب لجذب المتلقي، ثم استحضر

(١) أبو العتاهية أشعاره وأخباره ،٤٤٩.

الصورة أمامه من خلال الفعل المضارع (تستنشق) أحد أفعال الحواس، وذلك مما ينفر من صفة البخل. وفي تنكير (شيء) ما يدل على التحقير، وإخراج الكلام بهذه الصورة التهكمية يوفر انطباعًا قويًا عن شخصية البخيل؛ فينفَّر صاحب الطباع السليمة من هذه الصفة.

ومن المعلوم أن الشاعر من أئمة الزهاد في عصره؛ ولذا نجده يصبغ دعوته إلى الكرم بالزهد، لأن الزهد يدعو إلى السمو الأخلاقي والنبل السلوكي، أي إنه لا يكتفي بالمستوى العادي في الأخلاق والسلوك، بل يرتقي به إلى أعلى الـــدرجات وأرفعها، وهو ما نلحظه هنا، فنجده يحذر الكريم من المنِّ في العطاء، فيقول(١):

لا تُتبِعِ المَعـــــروفَ مِنكَ مِنّا * أُخِيَّ أَحسِن بِأَخيـــــــكَ الظَنّا**

فهو يحذر المخاطب عن طريق أسلوب النهي بألا يُتْبِع معروفه بالمنِّ، فأسلوب النهي يقتضي فورية الكَفّ عن الفعل، وديمومة الكفّ. وإنما كان المنّ بالمعروف مفسدًا له؛ لأن المنّة لله تعالى وحده، والإحسان كله لله، فالعبد لا يمنّ بنعمة الله وإحسانه وفضله وهو ليس منه، وأيضا فإن المانّ مستعبِدٌ لمن يمنّ عليه، والذّل والاستعباد لا ينبغي إلا لله، والله غني بذاته عن جميع ذلك. ونكّر أبو العتاهية لفظ (منّ) ليشمل كل أنواع المن سواء باللفظ أو اللسان، وقد اقتبس معنى الشطر الأول من قوله: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ﴾(٢)، والاقتباس وسيلة من وسائل إقناع المخاطب بما يدعوه إليه.

وقد قرن في شطرين متجاورين حكمتين لا رابطة بينهما؛ فالشطر الثاني يتضمن الدعوة إلى خُلق آخر وهو حسن الظن، عن طريق فعل الأمر

---

(١) السابق، ٤٥٥.

(٢) البقرة، آية ٢٦٤.

(أحسن)، فالواجب على الإنسان حسنُ الظن بأخيه، يقول ﷺ: "إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ"(١)، وفي قوله (أُخَيَّ) ما يؤكد له صدق نيته وإخلاصه في نصيحته، وقد كرر لفظ الأخ (أخي-أخيك) ليدل على قوة الصلة بين أبناء آدم، وهي الأخوة، ففيه ترقيق وحث على حسن الظن.

٤- الدعوة إلى مصاحبة الأخيار:

يرسم أبو العتاهية صورةً مثاليةً للصديق، يفيض عليها من عصارة أفكاره، وخلاصة تجربته التي عاشها في مجتمعه، فيبين مواصفات الصديق الذي ينبغي مصادقته، فيقول(٢):

اصْحَبْ ذَوِي الفَضْلِ وأَهْلَ الدِّين * فَالمَرْءُ مَنْسُوبٌ إِلَى القَرِينِ**

ينصح أبو العتاهية مخاطَبَه بصُحْبَة ذوي الفضل؛ مُعَلَّلا أنَّ المرء منسوب إلى القرين، فاستهل بيته بالأسلوب الطلبي الإنشائي المتمثل في أسلوب الأمر، وقد أفاد الأمر معنى الوعظ والنصح والإرشاد، كما أن التعريف بالإضافة في قوله "ذوي الفضل وأهلَ الدين" يفيد التفخيم والتعظيم، فالشاعر يُعظِّم شأن أصحاب الفضل وأهل الدين، ويعلى قدرهم وشأنهم، ولذا ينصح المخُاطَب ويرشده إلى صُّحبتهم، والانتساب إليهم، وقد كان لأداة التعليل (الفاء) أثر في ربط المعاني، فقد جاءت بعد الأمر، وهذا مدعاة للامتثال بالأمر؛ لأن التعليل للمعنى يقرره ويؤكده في ذهن السامع.

وقد آثر التعبيرَ باسم المفعول (منسوب)، وذلك لما له من دلالة على ثبات نسبة الفضل والدين ودوامهما، ففيه من تمكُّن الوصف ما ليس في الفعل، وهو " أكثر توكيدًا للمعنى وإثباتًا له وتقريرًا، وخاصةً وأن صيغة الاسم تدل على الثبوت دون إفادة التجديد، وصيغة الفعل تدل على الحدوث والتجدد"(٣). ومن

(١) صحيح البخاري، رقم الحديث ٦٣٤٥، ٤٧٤/٦.

(٢) أبو العتاهية أشعاره وأخباره ،٤٤٨.

(٣) خصائص التراكيب، دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، د/ محمد محمد أبو موسى: ٣٣٢

عناصر القُوة في التركيب التأكيد بالجملة الاسمية "لما يأتي في دلالتها من معنى الثبوت والدوام"(١). وسر اختيار الشاعر لفظ (القرين)؛ لأن تأثر الإنسان بمن يقارن أمرٌ مقطوعٌ به، ومن ثَّم فإن الشاعر في حكمته يعظ المخاطَب بصحبة أهل الفضل والدِّين من أجل أن يُنْسَب إليهم وإلى صحبتهم الطيبة.

ويمضي أبو العتاهية في نصح مخاطبه بحسن اختيار الصديق فيحذر من الصديق الذي ينبغي الابتعاد عنه، فيقول(٢):

صُلْحُ قَرِينِ السُّوءِ لِلْقَـــرِينِ * كَمِثْلِ صُلْحِ اللَّحْمِ وَالسِّكِّـين**

يحذر أبو العتاهية من صديق السوء؛ لأن صداقته لا يُرْجى خيرها، فلن يسلم من يصاحب الأشرارَ مهما كانت نفسه محصَّنة. واختار لإقناع المخاطب من الأساليب البلاغية التشبيه، فيشبه صلح صاحب السوء لصاحبه مثل صلح اللحم والسكين، والجامع استحالة الإصلاح، فالصديق السيء إن ذكرت الله لم يعنك، وإن نسيت لم يذكرك، وإن غفلت ولهوت حرَّضك على اتباع الهوى واللهو، وترك الذِّكر والخـــير، فمن كان أصدقاؤه أشراراً كان شرَّهم، فالصورة التشبيهية لها فاعليتها في الإقناع والتوجيه بما تقدِّمه للمتلقي من الإبانة عن المعاني وإيضاحها(٣)، كما كان لها أثر في ربط الجمل؛ وذلك لما للتشبيه من قدرة فائقة على تجسيد الكلام، وجعله مرئيًا مشاهدًا، وفي إضافة السوء إلى القرين(٤) بيان بشدة الملازمة.

---

(١) من أسرار التوكيد في نظم القرآن الكريم، د/ محمود عبد العظيم عبد الله صفا، ٢٧، طبعة دار الكتاب الجامعي، سليمان الحلبي، التوفيقية ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م.

(٢) أبو العتاهية أشعاره وأخباره ،٤٤٧

(٣) ينظر الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، د/ جابر أحمد عصفور،٣٦٩، دار المعارف.

(٤) وهو من الإضافة المشبهة بالمحضة. ينظر حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ومعه شرح شواهد للعيني ٣٦٤/٢، تح/ طه عبد الرؤوف سعد، المكتبة التوفيقية.

٥- الدعوة إلى طيب الحديث (أدب اللسان):

طيب الحديث خُلُق رفيع يحث عليه الشاعر، فيقول(١):

يُغنيكَ عَن قولٍ قَبيحٍ تَركُــهُ * قَد يوهِنُ الرَأيَ الأَصيلَ شَكُّهُ**

يحث الشاعرُ مخاطَبه على التكلم بما هو طيّب، وتركِ ما هو قبيح، وقد جعل الترك غنى للمخاطب على سبيل الاستعارة المكنية؛ وذلك للترغيب في ترك الكلام القبيح، فمن لزم الصمت غدا في عقله فاضلًا، وفي جهله عاقلًا، وفي قدرته حليمًا، وفي عجزه حكيمًا، وقد قيل: "إياك وفضول الكلام فإنه يظهر من عيوبك ما بطن، ويحرّك من عدوك ما سكن، فكلام المرء بيان فضله وترجمان عقله، فالعاقل من اقتصر على الجميل، واقتصر من الكلام على القليل، فخــير الناس من حفظ لسانه، وكف عن عرض أخيه وأعرض عمّا لا يعنيه. وقال أبو حاتم -رضي الله عنه-: الصمت يكسب المحبة والوقار، ومن حفظ لسانه أراح نفسه، والرجوع من الصمت أحسن من الرجوع عن الكلام، والصمت منام العقل والمنطق يقظته"(٢). وقال (قول) ولم يقل (كلام)؛ لأن الكلام ما كان مفيدًا، أما القول فهو كل لفظ يلفظه اللسان. وفي تنكير (قول) ما يفيد التحقير؛ ولذا وصفه بكلمة (قبيح). وعلل كلامه بقوله :(قد يضعف الرأي الصحيح شكه)، والتعليل يقوِّي داعي الامتثال لما هو مطلوب من خلال الإقناع.

ويقول(٣):

طوبى لِمَن طابَ لَهُ الحَديــثُ * ما يَستَوي الطَيِّبُ وَالخَبيــثُ**

---

(١) أبو العتاهية أشعاره وأخباره: ٤٤٧.

(٢) صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال – تأليف/القاضي حسين بن محمد المهدي،٢٤٢، – المكتبة الشاملة رقم ٨٣٧٢

(٣) أبو العتاهية أشعاره وأخباره: ٤٦٥.

يختم أبو العتاهية أرجوزته بالدعوة إلى القول الحسن، حاثًا الناس على الالتزام بالأقوال الحسنة؛ لأن صاحب القول الحسن له الأجر عند الله، فالحديث الطيب لا يستوي مع الحديث السيء. ولإقناع المتلقي بما يدعوه إليه اقتبس أبوالعتاهية (ما يَستَوي الطَيِّبُ وَالخَبيــثُ) من قول الله –عز وجل–: ﴿قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ﴾(١)، فالاقتباس من القرآن يُضفي على المعنى مزيدًا من القوة والتوكيد، وترسيخًا في النَّفس.

وقد بدا النصح جليًّا في هذا البيت الخَتامي، وذلك في بيان العاقبة الحسنة للإنسان صاحب الكلام الحسن في لفظ (طوبى)، والاقتباس من القرآن الكريم، وجناس الاشتقاق بين (طوبى– طاب– الطيب)، والجناس بين (الحديث– الخبيث) وكذلك الطباق بين(الطيب–الخبيث)، وكُلُّ ذلك له بلاغُتهُ في التَّركِيبِ.

ومن تمام حسن الحديث الابتعاد عن الغيبة والنميمة:

فالغيبة دأب اللئام، وهي من آفات اللسان، فمن نطق بالغيبة كثر غلطه، وحوسب على كلامه، وتضاعفت آثامه، وكثر عتابه، وفقد أصحابه؛ لقوله ما لا ينبغي، ووصفه الناس بما يؤذي، واتباعه الهوى، فمن غلبت عليه شهوة الكلام تطاول في أعراض الكرام، والغيبة رذيلة اجتماعية تولِّد الــكراهية، وتضر بالعلاقات الإنسانية، وتسبِّب القطيعة والجفا، وكذلك النميمة؛ ولذا ورد النهي عنهما في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾(٢) وقال: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ﴾(٣).

---

(١) المائدة آية (١٠٠).
(٢) الحجرات من الآية (١٢).
(٣) القلم: الآية ١٠.

وقد حرص أبو العتاهية على تحذير الناس من الغيبة والنميمة، فقال[١]:

إِيَّـــاكَ والغِيْبَـــةَ وَالنَّمِيمَـــةَ * فَإِنَّهَـــا مَنْزِلـــةٌ ذَمِيمَـــــةٌ**

حذَّر أبو العتاهية مخاطَبه من أعظم الذُنوب وهي الغِيبة والنميمة، مؤكدًا أنها منزلة مذمومة. وقد اعتمد على الأسلوب الخبري، وذلك لغرض الإنذار والتحذير، مؤكدًا أنها من أدنى المنازل، ومن أعظم المكروهات، ومن ثَّم وجب على العاقل أن يصون نفسه عنها. وقد بدأ أبو العتاهية بيته بأسلوب التحذير (إياك)؛ وذلك لغرض تنبيه المُخاطب بضرورة وجوب الاحتراز من الوقوع في المكروه، فالتحذير: "هو تنبيه المخاطب على أمرٍ مكروه ليجتنبه"[٢]، فأسلوب التحذير هنا أضفى على المعنى مزيدًا من القوة والتأكيد مع الترسيخ في النَّفس.

كما حرص أبو العتاهية من أجل تحذير المخاطب من الغيبة والنميمة على مجئ الكلام في ثوب التوكيد قائلًا: (فإنها)، حيث جاءت (إن) التي تفيد التوكيد، لتقرير المعنى وتأكيده في النَّفس.

ومجئ الخبر هنا مؤكدًا من الشاعر ليس مراعاة لحال المخاطبين، لأنهم لا يشكون في كينونته، وإنما التأكيد مرجعه إلى حال المخبِر، كي ينتبهوا ويتيقظوا حاذرين اقتراف الغيبة والنميمة. كما أن تنكير (منزلة) يُفيد معنى التهوين والتحقير؛ فالشاعر يذم الغيبة والنميمة، ويحقِّر من شأنها، وشأنِ مَن يتصف بهذا الخُلُق الكريه، ثم كان وصفها بـــ(ذميمة) يُضفي عليها كثيرًا من الذم والتحقير؛ فالشاعر يَذُم هذه الذنوب التي تفسد المجتمعات وتفرق

---

(١) أبو العتاهية أشعاره وأخباره ،٤٤٨.

(٢) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تأليف / الإمام أبى محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف ابن أحمد بن عبد الله الأنصاري المصري،ومعه كتاب عدة السَّالك إلى تحقيق أوضح المسالك تأليف محمد محي الدين عبد الحميد، ٦٧/٣، ط:دار الطلائع، ٢٠٠٩م.

الجماعات. والجناس بين (نميمة–ذميمة) يقرع جرس إنذار قويًّا، يلفت انتباه المخاطب ويهيب به إلى ألا يقرب من هذه الصفة المذمومة. و(ذميمة) فعيلة بمعنى مذمومة ففيها مجاز مرسل علاقته الفاعلية.

ويبين أثر النميمة فيقول(١):

مَن جَعَلَ النَمّامَ عَينًا هَلَكـــا * مُبلِغُكَ الشَرَّ كَباغيهِ لَكـــــا**

يحذر أبو العتاهية المخاطب من اتباع الإنسان النمّام لأنه بئس القرين، ولابد للإنسان العاقل أن يبتعد عنه، فصديق من هذا القبيل ما هو إلا كالجاسوس يتتبع العثرات، ويدل على العورات، ما رأى من صالح دفنه، وما رأى من سيء أذاعه. وقد صاغ هذا المعنى في قالب الشرط، لما له من عظيم الأثر على النفس وحثها على عدم اتباع النمَّام، كما أن الشرط من الأدوات القوية التي تربط بين المعاني، ويستمد هذه القوة من جعله التصاق فعلِ الشرط بجواب الشرط التصاقًا وجوديًّا، فإذا وُجد فعل الشرط وُجد الجواب. واختار من أدوات الشرط (مَن)؛ لأن وجودها في الكلام ينقل الذهن من التفكير في الفعل إلى التفكير في صاحب الفعل، فيجعل الضوء مسلطًا نحو الفاعل، فهي عامة لكل فاعل، وهذا يفيد أن الحكم الذي يأتي بعدها عامٌّ خارج عن حدود الزمان والمكان. وجاء فعل الشرط ماضيًا وهذا المُضِيُّ يُضفي على المعنى دلالة الفوات، وكأن الشاعر يمسك بمطرقة يدق بها عقل مَن يسمع، يقول له: انتبه لفعلك. واختار المجاز المرسل في (عينا) بمعنى الجاسوس لعلاقة الجزئية، لأنه أبلغ من لفظ الجاسوس .

ثم يلجأ إلى الالتفات من الغائب فى قوله (مَن جَعَلَ النَمّامَ عَينًا هَلَكـــا)، إلى المخاطب في قوله: (مُبْلِغُكَ الشَرَّ كَباغيهِ لَكـا)؛ لجذب انتباه السامع؛ لأن "الكلام إذا نُقل من أسلوبٍ إلى أسلوب كان ذلك أكثر إيقاظًا للإصغاء إليه

(١) أبو العتاهية أشعاره وأخباره: ٤٤٧.

من إجرائه على أسلوب واحد"(١)، فلا يفرح بإخبار النمّام له، فلو كان يريد له الخير لما أسمعه ما يسوءه، فأذى النمام يقع على من نمّ له لا على من نمّ به، وهذا ما أفادته كاف التشبيه.

وبعد الحث على هذه الأخلاق الفاضلة ينبه أبو العتاهية إلى أن كل فرد لابد أن يبدأ بإصلاح نفسه قبل الدعوة إلى إصلاح الغير:

يقول(٢):

لَن تُصلِحَ الناسَ وَأَنتَ فاسِدُ * هَيهاتَ ما أَبعَدَ ما تُكابِـــــدُ**

يشير في هذا البيت إلى أن المجتمع لا يَصلُح ما لم يُصلِح كل فرد ذاته، فيجب البدء بإصلاح نفسك وتهذيبها، فهو ينفي بـــ(لن) نفياً قاطعًا صلاح الناس إذا لم يبدأ الإنسان بصلاح نفسه، ثم بعد ذلك يدعو غيره. وتأتي قيمة الطباق بين (تصلح– فاسد) في تأكيد المعنى؛ فذِكْرُ الشئ ومقابلُه يعطي الكلام حسناً، وقدرة على التمييز بين الخطأ والصواب، وبضدها تتمايز الأشياء، فالطباق يُسلط الضوء على الفرق الشاسع بين الإصلاح والفساد. ولتأكيد صعوبة الإصلاح وهو فاسد جاء باسم الفعل الماضي (هيهات)، الذي يدل على البعد والزجر، ومجئ البيت بالأسلوب الخبري يؤكد أن معناه حقيقةٌ مُسَلَّمٌ بها، لا شك فيها.

وهذا البيت متضمِّنٌ تضمُّنًا إشاريًا قولَ أبي الأسود الدؤلي(٣):

لا تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأتِي مِثلَـــهُ * عارٌ عَلَيكَ إِذا فَعَلــتُ عَظــيم**

ابدأ بِنَفسِكَ وَانهَا عَن غِيِّها * فَإِذا انتَهَت عَنهُ فَأَنتَ حَكيم**

---

(١) بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، تأليف/ عبد المتعال الصعيدي ١٤٢/١، مكتبة الآداب، ٢٠٠٩هـــ.

(٢) أبو العتاهية أشعاره وأخباره ،٤٤٦.

(٣) ديوان أبي الأسود الدؤلي، أبو سعيد الحسن السكري (ت ٢٩٠ هـــ)، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، دار ومكتبة الهلال – بيروت، لبنان،ط٢، ١٩٩٨ م – ١٤١٨ هـــ.

وهذا يدل على ثقافة أبي العتاهية وقراءته للنُّصوص السَّابقة، وكيفية حضورها في النَّص الشِّعري؛ فقد أفاد من نصٍّ شاعري وأعاد إنتاج معانيه إنتاجًا جديدًا. إذًا لا يخفى على القارئ ما في الأبيات من أوجه تشابه وملامح التقاء، فكأن الشاعرين يستلهمان المعنى القرآني الماثل في قوله تعالى: ﴿أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلبِرِّ وَتَنسَونَ أَنفُسَكُم.....﴾(١)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾(٢).

(١) سورة البقرة آية ٤٤.

(٢) سورة الرعد من آية (١١).

الخاتمـــة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين، وبعد...

فمن خلال البحث توصلت الدراسة إلى عدة نتائج، منها:

أولاً: أن أبا العتاهية في أرجوزة ذات الأمثال يأتينا بحكم أخلاقية وأمثال سائرة، سجّل فيها خلاصة تجاربه وآرائه في الحياة، مصوغة صياغة مضغوطة مركزة في أخصر عبارة، بحيث تبدو في صورة الأمثال السائرة – كما هو واضح من اسمها– فتخف على الألسنة، وتعلق بالذاكرة، ويسهل تداولها، ويسرع الذهن إلى استدعائها؛ ولذا تعد الأرجوزة من الشعر التعليمي، كما تعد من أدب الحكمة.

ثانيًا: كثرت الأساليب الإنشائية في الأرجوزة، خاصة أسلوب الأمر والنهي والنداء والتعجب؛ حيث وظّف أبو العتاهية ما تتميز به هذه الأساليب من قدرتها على لفت الانتباه، وتشويق السامع، ووعظه وزجره، كما تدل كثرة الأساليب الإنشائية على شخصية الشاعر الواعظ والمرشد الموجه.

ثالثًا: يُعدُّ الحوارُ من الأساليب التي وظّفها أبو العتاهية في أرجوزته، إما بالحديث مع نفسِهِ تارة أو مع شخص آخرَ تارة؛ مما يجعل النظم مُفْعمًا بالحركة، نائِيًا عن المألوف، ويجعلُ القارئ يتابِعُهُ باهتمامٍ وتركيزٍ، وكأنَّ الشاعر يخاطبُهُ هو بمفردِهِ.

رابعًا: التنوع في القوافي الداخلية والخارجية من خلال الأرجوزة وكثرة المحسنات البديعية –من غير تكلف– يشير إلى مهارة أبي العتاهية في نظم الكلمات، وبراعة ترتيبها، وحسن تنسيقها، كي تتناسب مع المعاني التي يرمي إليها من أرجوزته.

خامسًا: يستخدم أبو العتاهية في نصحه أساليب متنوعة بين لين وشدة، وترغيب وترهيب، وهو في كل الأحوال يتمنى الخير ويرجوه للناس.

سادسًا: الناظر في نصائح أبي العتاهية التي يدعو فيها إلى مكارم الأخلاق يجد أنه قد استعان بالصورة البيانية السهلة، قريبة المأخذ، غير المعقدة، كما مال في الأعم الأغلب إلى التقريرية والتعبير المباشر، ومن ثم اتسمت التعبيرات المجازية بالبساطة والصدق، والدقة في التعبير عـــن الفكرة التي يريد إيصالها إلى أكبر عدد من متلقيه.

وأخيرًا لقد كان حرص الشاعر على الأخلاق النبيلة نابعًا من إخلاصـــه لمجتمعه، ولهذا نادى بهذه الأخلاق وحذر من أضدادها، وذلك للمحافظة علـــى سلامة مجتمعه من الأدواء والعلل التي ستنجم عن انهيار هذه الأخلاق.

ثبتُ المصادرِ والمراجع

القُرآنُ الكريمُ

أولا: الكتب:

١- أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تحقيق د/ شكري فيصل، دار الملاح للطباعة والنشر، مطبعة جامعة دمشق ١٣٨٤هـ-١٩٦٥م.

٢- أبو العتاهية حياته وشعره، جعفر خربياتي، ط دار الفكر اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٩٩٢م.

٣- الإتقان في علوم القرآن، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٩٤ هـ/ ١٩٧٤ م.

٤- أمراء الشعر العربي في العصر العباسي، تأليف/ أنيس المقدسي، دار العلم للملايين، ط١٧، ١٩٨٩م.

٥- أهَدى سَبيل إلى علمي الخَليل (العَرُوض والقافية)، للدكتور محمود مصطفى، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

٦- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تأليف/ الإمام أبى محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله الأنصاري المصري، ومعه كتاب: عدة السَّالك إلى تحقيق أوضح المسالك، تأليف/ محمد محيي الدين عبد الحميد، ط: دار الطلائع ٢٠٠٩م.

٧- بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، تأليف / عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب ٢٠٠٩هـ.

٨- حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ومعه شرح الشواهد للعيني، تحقيق/ طه عبد الرؤوف سعد، المكتبة التوفيقية.

٩- خصائص التراكيب، دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، د/ محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، مصر، ط٤، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م..

١٠- ديوان أبي الأسود الدؤلي، أبو سعيد الحسن السكري (ت ٢٩٠ هـ)، تحقيق/ محمد حسن آل ياسين، دار ومكتبة الهلال – بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٩٨ م – ١٤١٨ هـ

١١- ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، لجار الله الزمخشري (ت٥٨٣هـ)، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١، ١٤١٢ هـ.

١٢- سفر السعادة وسفير الإفادة، تأليف/ علي بن محمد بن عبد الصمد الهمداني المصري الشافعي، أبو الحسن علم الدين السخاوي (ت٦٤٣هـ)، تحقيق/ د. محمد الدالي، تقديم/ د. شاكر الفحام، دار صادر، ط٢، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.

١٣- سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق/ مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

١٤- شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد، تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسي البابي الحلبي، ط٢، ١٣٨٥هـ- ١٩٦٠م.

١٥- الصبغ البديعي في اللغة العربية، د/ أحمد إبراهيم موسى، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة ١٣٨٨هـ -١٩٦٩م.

١٦- الصحاح في اللغة، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق/ أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين ١٩٩٠م.

١٧- صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، تحقيق د/ مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، دار اليمامة دمشق، ط٥، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م.

١٨- الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، د/ جابر أحمد عصفور، دار المعارف.

١٩- صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال - تأليف/القاضي حسين بن محمـــد المهدي، المكتبة الشاملة رقم ٨٣٧٢

٢٠- ضعيف الجامع الصغير (وزيادته: الفتح الكبير) لمحمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، أشرف على طبعه: زهير الشاويش.

٢١- فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، المكتبة التجارية الكبرى – مصر،ط١، ١٣٥٦ هـــ.

٢٢- كتاب أراجيز العرب، توفيق البكري الصديقي، ط١، ١٣١٣هـــ.

٢٣- كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، تحقيق وإشراف لجنة من الأدباء، الدار التونسية للنشر، تونس، طبعة ١٩٨٣م.

٢٤- كتاب سنن الترمذي، تأليف/ محمد بـــن عيـــسى الترمذي، تحقيق/ أحمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض، مطبعـــة مـــصطفى البـــابي الحلبي- مصر، ط٢، ١٣٩٨هـــ - ١٩٧٨م.

٢٥- لسان العرب للإمام العلامة ابن منظور(ت٦٣٠هـــ-٧١١هـــ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ط٣، ١٤١٩هـــ-١٩٩٩م.

٢٦- المرشد إلى فهم أشعار العرب، عبد الله بن الطيب بن عبد الله بن الطيب بن محمد بن أحمد بن محمد المجذوب (ت١٤٢٦هـــ)، دار الآثار الإسلامية- وزارة الإعلام الصفاة – الكويت، ط٢، ١٤٠٩هـــ - ١٩٨٩م.

٢٧- مروج الذهب للمسعودي، تحقيق/ محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، ط٥، ١٣٩٣هـــ-١٩٧٣م

٢٨- المسند الصحيح المختصر، للإمام مسلم النيسابورى، تحقيق/ محمـــد فـــؤاد عبـــد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٩- مَعاهِدُ التّنصِيص على شواهِدِ التَّلخِيصِ، تصنيف أبي الفتح المصري عبد الرحيم بن عبد الرحمن العباسي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، عالم الكتب، بيروت.
٣٠- من أسرار التوكيد في نظم القرآن الكريم، د/ محمود عبد العظيم عبد الله صفا، طبعة دار الكتاب الجامعي، سليمان الحلبي، التوفيقية، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م.
٣١- الموطأ، مالك بن أنس، صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م.
٣٢- نضرة الإغريض في نصرة القريض، تأليف المظفر بن الفضل العلوي، تحقيق د/ نهى عارف الحسن، دار صادر بيروت.
٣٣- وفيات الأعيان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، تحقيق/ إحسان عباس، دار صادر بيروت.

ثانيا: الرسائل العلمية:

١- أسرار التعريف والتنكير في الحديث النبوي دراسة بلاغية تطبيقية تحليلية في صحيح البخاري، أحمد محمد النور أحمد، إشراف د/ عبد الرحمن عطا المنان، دكتوراه، كلية اللغة العربية، جامعة أم درمان ٢٠٠٥م.
٢- التعريف في البلاغة العربية، حامد صالح خلف الربيعي، إشراف د/ منصور محمد على عبد الرحمن، ماجستير، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، السعودية، ١٩٨٥م.

ثالثا: الدَّوريَّات العلميَّة:

١- حول الشعر التعليمي، صالح آدم بيلو، الناشر: مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد: ٥٢.
٢- مجلة الرسالة، أحمد حسن الزيات باشا (ت ١٣٨٨هـ (، العدد:١١٥، (شاعرنا العالمي أبو العتاهية)، للأستاذ عبد المتعال الصعيدي.

فهرس الموضوعات

م	الموضوع
١	**ملخص**
٢	**مقدمة**
٣	**التمهيد**
٤	**المبحث الأول: الحث على القناعة والإسراع بالتوبة دراسة بلاغية**
٥	١-الحث على القناعة والزهد في الدنيا
٦	٢-الحث على الإسراع بالتوبة
٧	**المبحث الثاني: الحث على الصدق والحلم والكرم ومصاحبة الأخيار وطيب الحديث دراسة بلاغية**
٨	١-الحث على الصدق
٩	٢-الدعوة إلى الحلم والتسامح والصبر
١٠	٣-الحث على الكرم ونبذ البخل
١١	٤-الدعوة إلى مصاحبة الأخيار
١٢	٥-الدعوة إلى طيب الحديث
١٣	**الخاتمة**
١٤	**ثبت المصادر والمراجع**
١٥	**فهرس الموضوعات**